كشف شبهات المقاتلين

تحت راية من أخل بأصل الدين



٣٠ محرم ١٤٢١هـ

تأليف

عبدالله الموحد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[١].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾[٣].

وبعد،،،

قال تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[٤]، "قال سعيد بن جبير "بلى من أسلم" أخلص، "وجهه" قال دينه، "وهو محسن" أي اتبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن للعمل المتقبل شرطين: أحدهما أن يكون خالصا لله وحده، والآخر: أن يكون صوابا موافقا للشريعة، فمتى كان خالصا ولم يكن صوابا لم يتقبل، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم من حديث عائشة عنه عليه الصلاة والسلام"[٥].

هذا هو الدين القويم، إخلاص ومتابعة، توحيد واعتصام، تجرد من الشرك وابتعاد عن البدع، بهذا يكون العمل متقبلا عند الخلاق، ونافعا يوم يكشف عن ساق، فإن تحقق الشرطان قبل العمل، وإلا فلا فائدة للمتابعة دون إخلاص، ولا للإخلاص دون متابعة.

قال تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾[٦] "﴿قل هل ننبئكم﴾ أي نخبركم، ﴿بالأخسرين أعمالا﴾ ثم فسرها فقال ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ أي عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون"[٧].

---

(1) آل عمران: ١٠٢.

(2) النساء: ١.

(3) الأحزاب: ٧١.

(4) سورة البقرة: ١١٢.

(5) تفسير ابن الكثير: تفسير الآية السابقة.

(6) سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤.

(7) تفسير ابن كثير: شرح الآية السابقة.

وقال تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾[1]، و"المعنى: أنه من كان على يقين من ربه لا يستوي ولا يكون كمن زين له سوء عمله وهو عبادة الأوثان والإشراك بالله والعمل بمعاصي الله ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ عبادتهم وانهمكوا في أنواع الضلالات بلا شبهة توجب الشك فضلا عن حجة نيرة"[2].

إذن ما هو المخرج من الفتنة والضلالة، وكيف يثمر الإخلاص ثمرة القبول، وكيف السلامة من المصير إلى ﴿الأخسرين أعمالا﴾؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

إنها المتابعة، والاعتصام بالكتاب والسنة، والمسير على نهج الخلفاء الراشدين، فهذه هي السبيل إلى النجاة من الفتنة والضلالة والبدعة، وبها يتحقق الشرط الثاني من شرطي قبول العمل، كي لا تذهب الأعمال سدى، ولا تضيع الجهود بلا ثمار في الدنيا ولا في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة تصلى، نارا حامية﴾[3]، أعاذنا الله وإياكم من هذه الخاتمة.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: "سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله ومعونة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا النظر في رأي من خالفها، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا"[4].

ولذلك إخواننا الكرام، ولكي تكون أعمالنا مثمرة في الدنيا مقبولة في الآخرة، وحتى ننال رضاه سبحانه وتعالى، وحتى نحقق ركني قبول العمل من إخلاص ومتابعة، أردنا في هذه الرسالة المتواضعة أن نلفت انتباه إخواننا المجاهدين، إلى ضرورة التبين من راية القتال، ومن موافقة الشريعة في مسيرة الجهاد، حتى تثمر هذه المسيرة المباركة نصرا للمسلمين في الدنيا، وإعلاءً لكلمة الله في الأرض، ورضى منه سبحانه وتعالى وأجرا يوم تقوم الساعة.

فالغرض من هذه الرسالة مناصحة إخواننا الأحبة الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وتركوا الأهل والأحباب، وابتلوا وامتحنوا في هذا الطريق راجين رحمة ربهم ونصرة دينهم، والفوز بالشهادة في سبيل الله، غرضنا مناصحتهم وتذكيرهم بالهدف الذي خرجوا من أجله، وبذلوا فيه الغالي والرخيص، ولكي نوضح لهم معالم هذا الطريق، ولكي نزيل بعض الشبه والعوائق التي قد تكمن في طريقهم وقد تخفى عليهم، فوالله لا يهون علينا أن نرى إخواننا على خطأ أو زلة ونقف صامتين كالشياطين الخرس، فوالله ما هذا بوفاء ولا صدق في الإخاء، ولا يهون علينا أن نرى إخواننا جهودهم تضيع سدى، وأقدامهم تزل عن ساحات الهدى، ثم لا نقوم بما يتوجب علينا تجاههم من واجب النصيحة والتبيين، ولا سيما وقد طلب منا بعض الاخوة الذين يقاتلون مع حركة طالبان الأفغانية ذلك، مما جعلنا أمام حقّ لا بد من أدائه.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: «لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقالا فلا يقول فيه، فيقال له يوم القيامة: ما منعك أن

---

(1) سورة محمد: ١٤.

(2) "فتح القدير" للشوكاني.

(3) الغاشية: ٢-٤.

(4) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي: ج١/ ص٩٤

تكون قلت في كذا وكذا؟. فيقول: مخافة الناس، فيقول: إياي أحق أن تخاف»[1].

وعنه قال: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: «ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرّب من أجل ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكر بعظيم»[2].

ولذلك كتبنا هذه الرسالة مستفرغين فيها وسعنا في إصابة الحق وطلب الدليل، وهذا مبلغنا من العلم، فما وجدتم فيها من صواب - فذلك من فضل الله علينا ومنته - فلتعملوا به ولتتصحوا به، وما وجدتم فيها من خطأ - فذلك من ضعفنا وتقصيرنا ونحن عنه راجعون إن شاء الله - فلتنبذوه ولتتصحونا. فبيننا كتاب الله وسنة رسوله، لا عصمة إلا بهما، ولا حق فيما خالفهما، إذا أخطأناهما رجعنا إليهما، وإننا لنبرأ إلى الله من كل ما خالف الدليل الحق فيما كتبنا، وإذا أصبناهما فلا نبالي ولو خالفنا أهل الأرض أجمعون.

وإننا ما ادخرنا جهدا في النصح لإخواننا رغبة في وصول الخير إليهم، سائلين الله أن ينفعنا وينفعهم بها، فلا يبخلن أحد علينا بمحمل حسن يحمل عليه ما يجد من أخطائنا، ولا يبخل علينا بدعوة صادقة من القلب في جوف الليل بظهر غيب عسى الله أن يفرّج بها عنا ويرحمنا، إنه سميع مجيب.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل عالم الغيب والشهادة فاطر السماوات والأرض رب كل شيء ومليكه أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

---

(1) رواه أحمد: حديث رقم: ١١٢٧٤.

(2) رواه أحمد: حديث رقم: ١١٠٤٨.

الفصل الأول:

لمـاذا شرع الجهاد؟.

١ – **الجهاد في اللغة:** مصدر جاهد، يقال جاهد يجاهد مجاهدة وجهادا إذا: بذل وسعه.

٢ – **والجهاد في الشرع: له معنيان: عام وخاص.**

أ – فالمعنى العام للجهاد: هو أن يجتهد المسلم مستعينا بالله في تحصيل كل ما يقربه إلى الله، وفي الابتعاد عن كل ما نهاه الله عنه. وله أربع مراتب:

الأولى : جهاد النفس في تعلم الهدى ودين الحق والعمل به.

الثانية : جهاد الشيطان الداعي إلى الكفر والبدع والمنكرات.

الثالثة : جهاد أهل الظلم والبدع والمنكرات.

الرابعة : جهاد الكفار والمنافقين.

ب – وأم المعنى الخاص للجهاد: فهو بذل الوسع في قتال الكفار لتكون كلمة الله هي العليا، ويقع بالمال والنفس واللسان.

وإذا أطلق لفظ الجهاد في الشريعة فالمراد به المعنى الخاص، لا يختلف العلماء في ذلك، وهو الذي نتكلم عنه هنا.

٣ – **بدء شرع الجهاد وختامه.**

ولم يشرع الجهاد – بمعنى قتال الكفار – إلا في شريعة موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون بقوله تعالى: ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة – إلى قوله تعالى – اذهب أنت وربك فقاتلا﴾[١]، ولما لم يقاتل بنو إسرائيل عاقبهم الله بالتيه، ومات موسى ومن قبله أخوه هارون عليهما السلام بالتيه، ثم تولى أمرهم من بعد موسى فتاه يوشع بن نون عليه السلام فقاتلوا معه، وهو الذي حبس الله له الشمس عن الغروب حتى فتح الله عليه، كما ورد في الحديث المتفق على صحته والذي ورد فيه أن الغنائم كانت محرمة عليهم.

أما قبل موسى عليه السلام فلم يشرع الجهاد، وإنما كان كل نبي يدعو قومه حتى يبلغ من ذلك ما شاء الله، ثم يهلك الله تعالى من كفر من قومه بالأسباب السماوية وينجي رسله والذين آمنوا معه برحمة منه، قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾[٢]، فبين سبحانه أنه كان يهلك الكافرين بأسباب السماء قبل موسى، ثم فصل سبحانه كيفية هذا الإهلاك في قوله تعالى: ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[٣].

هذا في كيفية بدء شرع الجهاد، أما نهايته وآخره فقتال المسلمين – مع عيسى بن مريم عليه السلام بعد نزوله من السماء – للدجال ومن معه من اليهود، كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه

---

(1) سورة المائدة.

(2) سورة القصص: ٤٣.

(3) سورة العنكبوت: ٤٠.

وسلم في حديث الطائفة المنصورة، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»[1]، ويكون ذلك قبيل قيام الساعة.

٤ ـ تعرض موضوع الجهاد للطعن والتحريف.

هذا ويعتبر موضوع الجهاد من أكثر الموضوعات تعرضا للطعن والشبهات والتحريف في زماننا هذا نظرا لأنه الدرع الواقي لأمة المسلمين التي يراد لها أن تبقى ذليلة مستباحة من أعدائها، فالجهاد هو أخطر ما يهدد أعداء المسلمين من قوى الكفر العالمي ومن الحكام الطواغيت المرتدين على السواء، فأوعزوا إلى بطانتهم من المستشرقين والمستغربين وعلماء السوء أن يطعنوا في الجهاد ويثيروا الشبهات حوله وأن يحرفوا معناه ومقاصده لدى المسلمين[2].

٥ ـ لماذا شرع الجهاد؟.

وقد شرع الله تعالى الجهاد لتكون كلمة الله (التوحيد) هي العليا، ولتكون كلمة الذين كفروا (الشرك) هي السفلى:

- قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾.

قال الشوكاني: "وهي أن تزول مقدرة الكفار على الصد عن سبيل الله ويأمن كل من كان مسلما على دينه، و﴿يكون الدين لله﴾ وهو الدخول في الإسلام، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحل قتاله"[3].

وقال ابن كثير: "وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ يعني لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم. وقال محمد بن إسحاق بلغني عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ﴿حتى لا تكون فتنة﴾ حتى لا يفتن مسلم عن دينه. وقوله ﴿ويكون الدين كله لله﴾ قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال: **يخلص التوحيد لله**، وقال الحسن وقتادة وابن جريج: ﴿ويكون الدين كله لله﴾ أن يقال لا إله إلا الله، وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ويكون الدين كله لله﴾ لا يكون مع دينكم كفر، ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» وفيها عن أبي موسى الأشعري قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياءً، أي ذلك في سبيل الله عز وجل؟. فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل»"[4].

وقال ابن تيمية: "﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ وذلك أن هذا هو المقصود الذي خلق الخلق له، كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فكل ما كان

---

[1] رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[2] مقتبس من "كتاب الجامع في طلب العلم الشريف" للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز بتصرف يسير: ج٢/ ص٧٩١-٧٩٢.

[3] "فتح القدير": ص١٩٣.

[4] تفسير ابن كثير: الآية السابقة.

لأجل الغاية التي خلق لها الخلق كان محمودا عند الله، وهو الذي يبقى لصاحبه، وهذه الأعمال الصالحات"[١].

وقال ابن كثير: "﴿والفتنة أشد من القتل﴾ قال أبو مالك: أي ما أنتم عليه أكبر من القتل. وقال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس في قوله ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يقول الشرك أشد من القتل"[٢].

- وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له»[٣].

"وهكذا فغاية هذا القتال وهدفه تحقيق توحيد الله الذي خلق من أجله الخلق وبعث من أجله الرسل والأنبياء تحقيقا شاملا كاملا...

إذ "لا إله إلا الله" تعني البراءة من كل دين وطاغوت ومنهج وقانون ومعبود غير الله سبحانه وشرعه ودينه... وعداوة أهل الشرك وموالاة أهل الإيمان.

وأعلى مراتب هذه البراءة والعداوة هي ذروة سنام الإسلام "الجهاد في سبيل الله" وأدناها التي لا يصير الإنسان مسلما بدونها هي اجتناب الطاغوت، وعدم عبادته وتوليه أو نصرته أو تأييده... قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله».

فليس كل من ادعى التوحيد أو انتسب إليه ولو اسما يحرم ماله ودمه ويكون من الموحدين... بل لا يكون كذلك حتى يكفر بكل ما يعبد من دون الله ويتبرأ منه سواء عبادة سجود أو ذبح أو دعاء... أم عبادة تشريع واستسلام وتحاكم... فالإشراك بالله في حكمه من الإشراك به في عبادته، وقد قال إمام الدعوة النجدية الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى معلقا على حديث مسلم هذا: "وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للمال والدم، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده حتى يُضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه" اهـ."[٤]

- وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

  الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟.

  قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» رواه البخاري.

قال ابن حجر: "قوله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» المراد بـ«كلمة الله» دعوة الله إلى الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا من الأسباب المذكورة أخل بذلك"[٥].

- كما جاء في صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اغزوا في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله... » الحديث. وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: كان

---

(1) مجموع الفتاوى: ج٢٨/ ص١٦٤.

(2) تفسير بن كثير: تفسير الآية ﴿والفتنة أشد من القتل﴾.

(3) رواه أحمد، حديث رقم: ٥٦٣٤

(4) من كتاب "الكواشف الجلية": ص١٩٤-١٩٥.

(5) فتح الباري: ج٦/ص٢٨.

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيوشه قال: «اخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله».

فالجهاد شرعه الله تعالى لإعلاء كلمته التي هي التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده، ولإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وحتى لا يبقى لله ندا يعبد من دونه، هذه هي الغاية التي شرع الجهاد من أجل تحقيقها، والراية التي شرع الجهاد من أجل إعلاءها، وهذا هو سبيل الله الذي أمر بالقتال فيه. قال تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾، وأي سبيل غير سبيله فقد نهى الله تعالى عن سلوكه والعمل من أجله، قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾.

- حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الرحمن القاري عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى اللهم عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه». قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ قال فتساورت لها رجاء أن أدعى لها. قال: فدعا رسول الله صلى اللهم عليه وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: «امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك». قال: فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس. قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» رواه مسلم[1].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله – شارحا هذا الحديث –: "وفيه أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله المراد بها الدعوة إلى الإخلاص بها وترك الشرك – إلى أن قال – وحاصله أنهم إذا أجابوا إلى الإسلام الذي هو التوحيد فأخبرهم بما يجب عليهم بعد ذلك من حق الله تعالى في الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام الظاهرة وحقوقه، فإن أجابوا إلى ذلك فقد أجابوا إلى الإسلام حقا، وإن امتنعوا عن شيء من ذلك فالقتال باق بحاله إجماعا، فدل على أن النطق بكلمتي الشهادة دليل العصمة لا أنه عصمة، أو يقال: هو العصمة لكن بشرط العمل – إلى أن قال – يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فإن تابوا﴾ أي عن الشرك وفعلوا التوحيد ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ التوبة:٧، فدل على أن القتال يكون على هذه الأمور"[2].

---

(1) حديث رقم: ٤٤٢٢.

(2) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: ١٣٢-١٣٩.

الفصل الثاني:

رد شبهة لا يشترط التوحيد للجهاد

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية» رواه مسلم.[1]

وفي رواية النسائي: «ومن قاتل تحت راية عمية يدعو إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتل فقتلة جاهلية»[2].

وفي رواية لمسلم: «من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية»[3].

وفي رواية ابن ماجة: «من قتل في عمية أو عصبية بحجر أو سوط أو عصا فعليه عقل الخطأ...» الحديث[4].

وفي مسند أحمد: «ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبته ويقاتل لعصبته وينصر عصبته فقتل فقتلة جاهلية»[5].

وفي رواية لأحمد: «ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبية أو يقاتل للعصبية أو يدعو إلى العصبية فقتلة جاهلية»[6].

وفي رواية أخرى لأحمد: «ومن قتل تحت راية عمية يدعو للعصبية أو يغضب للعصبية أو يقاتل للعصبية فقتلة جاهلية»[7].

عرفنا فيما سبق الراية التي شرع الجهاد من أجلها ألا وهي التوحيد، وعرفنا الراية التي شرع الجهاد لإزالتها ألا وهي راية الشرك، والسؤال الآن ما هي الراية العمية؟.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح، الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا"[8].

إذن فللنظر لما يقوله أهل الدين الصحيح في تفسيرهم للراية العمية ...

قال النووي رحمه الله: "«ومن قاتل تحت راية عمية» هي بضم العين وكسرها لغتان مشهورتان، والميم مكسورة مشددة، والياء مشددة أيضاً، **قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه**، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور"[9].

---

(1) حديث رقم: ١٨٤٨.

(2) حديث رقم: ٤١١٤.

(3) رقم الحديث: ١٨٥٠.

(4) حديث رقم: ٢٦٣٥.

(5) حديث رقم: ٧٨٨٤.

(6) حديث رقم: ٨٠٠٠.

(7) حديث رقم: ٩٩٦٠.

(8) الاختيارات الفقهية: كتاب الجهاد: ص ٥٣٥.

(9) صحيح مسلم بشرح النووي: ج٦/ ص١٨٨-١٨٩.

يقول سيد قطب رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾: ''وفي أول آية من آيات القتال نجد التحديد الحاسم لهدف القتال، والراية التي تخاض تحتها المعركة في وضوح وجلاء: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ إنه القتال لله، لا لأي هدف آخر من الأهداف التي عرفتها البشرية في حروبها الطويلة. القتال في سبيل الله. لا في سبيل الأمجاد والاستعلاء في الأرض، ولا في سبيل المغانم والمكاسب ولا في سبيل الأسواق والخامات، ولا في سبيل تسويد طبقة على طبقة أو جنس على جنس... إنما هو القتال لتلك الأهداف المحددة التي من أجلها شرع الجهاد في الإسلام، القتال لإعلاء كلمة الله في الأرض، وإقرار منهجه في الحياة، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهي حرب غير مشروعة في حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام.

إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما في الحياة، ومن ثم فهي أشد من القتل. أشد من قتل النفس وإزهاق الروح وإعدام الحياة. ويستوي أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى الفعلي أو بإقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله، وتزين لهم الكفر به والإعراض عنه''[(1)].

وقال سيد رحمه الله: ''﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ فالإسلام لا يعرف قتالاً إلا في هذا السبيل. لا يعرف القتال للغنيمة ولا يعرف القتال للسيطرة. ولا يعرف القتال للمجد الشخصي أو القومي. إنه لا يقاتل للإستيلاء على الأرض ولا للإستيلاء على السكان... لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات والأسواق للمنتجات، أو لرؤوس الأموال ليستثمرها في المستعمرات وشبه المستعمرات. إنه لا يقاتل لمجد شخص. ولا يقاتل لمجد بيت، ولا لمجد جنس، ولا لمجد طبقة ولا لمجد دولة، ولا لمجد أمة. إنما يقاتل في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله في الأرض، ولتمكين منهجه من تصريف الحياة، ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج، وعدله المطلق''[(2)].

قال ابن تيمية: ''وبعضهم إنما ينفرون عن التتار لفساد سيرتهم في الدنيا واستيلاءهم على الأموال، واجتراءهم على الدماء والسبي لا لأجل الدين فهذا ضرب النفاق الأكبر''[(3)].

وقال سيد قطب رحمه الله: ''ومع كل عظمة هذه الغزوة، فإن قيمتها لا تتضح أبعادها الحقيقية إلا حين نعرف طبيعتها وحين نراها حلقة من حلقات "الجهاد في الإسلام" وحين ندرك بواعث هذا الجهاد وأهدافه. كذلك نحن لا ندرك طبيعة "الجهاد في الإسلام" وبواعثه وأهدافه قبل أن نعرف طبيعة هذا الدين ذاته''[(4)].

وقال: ''والسمة الثالثة: هي أن هذه الحركة الدائبة، والوسائل المتجددة، لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة، ولا عن أهدافه المرسومة. فهو منذ اليوم الأول – سواء وهو يخاطب العشيرة الأقربين، أو يخاطب قريشا، أو يخاطب العرب أجمعين، أو يخاطب العالمين – إنما يخاطبهم بقاعدة واحدة، ويطلب منهم الانتهاء إلى هدف واحد...هو إخلاص العبودية لله، والخروج من العبودية للعباد... لا مساومة في هذه القاعدة ولا لين. ثم يمضي إلى تحقيق هذا الهدف الواحد، في خطة مرسومة، ذات مراحل محددة، لكل مرحلة وسائلها المتجددة. على نحو ما أسلفنا في الفقرة السابقة.

---

(1) في ظلال القرآن: ج١/ ص ١٨٧.

(2) في ظلال القرآن: ج٢/ ص ٧٠٧.

(3) مجموع الفتاوى: ج٢٢/ ص٤٣٥.

(4) في ظلال القرآن: ج٣/ ص١٤٣١.

والجهاد في الإسلام أمر آخر لا علاقة له بحروب الناس اليوم، ولا بواعثها ولا تكييفها كذلك... إن بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة "الإسلام" ذاته، ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله، وذكر الله أنه أرسل من أجلها هذا الرسول بهذه الرسالة، وجعله خاتم النبيين، وجعلها خاتمة الرسالات..."[1].

يقول الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز: "ومن الناحية العملية يمكنني القول بأن للمسلم أن يُقدم على المشاركة في أي عمل قتالي بغَضّ النظر عما يصيبه في نفسه، وبغَضّ النظر عن نتيجة هذا العمل القتالي بشروط أربعة، وهي:

الأول: المشروعية وهي معرفة حكم هذا الجهاد هل هو مشروع واجب أم لا؟ ويكون ذلك أساسا بمعرفة حال العدو وحكم الله تعالى فيه؟ وسوف أذكر في الملحق الثالث إن شاء الله تعالى أن هذا من العلم الواجب على الفرد المسلم.

الثاني: الراية: لا يكفي أن يكون عدوك كافرا مستحقا للقتال، بل يجب عليك إذا كنت ستقاتل هذا العدو مع طائفة أن تعرف راية هذه الطائفة وهويتها، هل الراية إسلامية أم لا؟ وإذا قلنا إسلامية نقصد إسلامية خالصة غير مختلطة بكفر، كالاشتراكية أو الديمقراطية أو غيرها من المذاهب الكفرية، فإذا كان أصحاب الراية يقولون إنهم يعملون من أجل إقامة نظام إسلامي اشتراكي أو إسلامي ديمقراطي فهذا كله كفر لأن الإسلام نظام مكتمل، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة]، فالإسلام ليس بحاجة إلى هذه الأوضاع البشرية، وكل من خلط الإسلام بالأوضاع البشرية فهو يقول بلسان الحال - وقد يصرح بالمقال - إن الإسلام ناقص ونحن نكمله بهذه النظم البشرية، وكل هذا كفر كما سبق في أصول الاعتصام بالكتاب والسنة، ووجه كفره أنه تكذيب بقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

فمثل هذه الرايات المُخَلَطة لا يجوز القتال تحتها بحال، لأنك في حقيقة الأمر تنصر راية كفرية ولست من سبيل الله في شيء، قال صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه."[2].

وقال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز أيضاً: "١ - **أما العلم العيني في حق المجاهد فهو نوعان: عام وخاص.**

أ) **النوع العام:** ويشترك فيه المسلمون جميعا، ومنه علم التوحيد ونواقضه وأركان الإسلام والمحرّمات ونحو ذلك، وهذا يمكن تحصيله أثناء الجهاد وليس بشرط لوجوبه كما سبق، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه مع اشتغالهم بالجهاد، كما في حديث ذات الأنواط السابق، وهو أمر متعلق بالتوحيد الذي هو أصل الدين. وفيما يتعلق بالعلم العيني - إجمالا - أنصح كل مسلم بمراعاة أمرين: الأول أن لا يُقدِمَ على أمر حتى يعلم حكم الشريعة فيه، كما سبق في أصول الاعتصام بالكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿**لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾، والثاني أن يسأل من يدله على حكم الشريعة لقوله تعالى: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾.

ب) والنوع الخاص: هو علم مشروعية الجهاد ومعرفة الراية التي سيجاهد المسلم تحتها.

أما علم مشروعية هذا الجهاد، أي هل هذا الجهاد الذي تنوي الشروع فيه مشروع أم لا؟ ومن أي وجه هو؟ وهذا فرض واجب لا يجوز لمسلم أن يشارك في جهاد قبل أن يعلم مشروعيته فالجهاد فيه ذهاب الأنفس والأموال. ويدل على هذا المناظرة التي دارت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عندما عزم أبو بكر على قتال المرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد خفي وجه مشروعية قتالهم على عمر، فبين له أبو بكر ذلك. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(1) في ظلال القرآن: ج٣/ ص١٤٣٣.

(2) العمدة في إعداد العدة: فقرة١٩: والاستشهاد ليس مقصودا لذاته بل لإظهار الدين. تم حذف بقية الشروط.

"لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر، وكَفَر من كَفَر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله»، قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتُهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق" رواه البخاري.

وأما معرفة الراية التي سيجاهد المسلم تحتها فهذا واجب أيضا، لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قُتِلَ تحت راية عُمِّيَّة يدعو عصبية أو ينصر عصبية فَقِتْلَةٌ جاهلية» رواه مسلم عن جندب بن عبد الله، وقال تعالى: **﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾**[1]. فلا يكفي علم مشروعية الجهاد - أي هل قتال هذا العدو واجب أم لا؟ - بل لابد من معرفة الراية التي ستقاتل عدوك تحتها."[2].

وقال الشيخ بعد كلامه عن وجوب البدء بالإصلاح والتغيير الذاتي قال: "كذلك فإن راية الجهاد ينبغي أن تكون إسلامية خالصة غير مختلطة بأي من الأهواء والآراء البشرية كالاشتراكية والديمقراطية ونحوها، قال تعالى: **﴿ألا لله الدين الخالص﴾**[3]، وقال تعالى - في مفاصلة الكافرين والتميز عنهم - **﴿لكم دينكم ولي دين﴾**[4]، فهذه مفاصلة تامة لا خلط فيها وتبرؤ صريح لا مداهنة فيه.

وكما أن راية الجهاد ينبغي أن تكون إسلامية خالصة، فكذلك قيادة الجهاد يجب أن تكون إسلامية خالصة، إن مسيرة الجهاد يمكن أن تنحرف إذا تصدر لقيادتها فرد أو فئة قليلة من ذوي الفهم المختلط، من الذين يرتدون ثياب الإسلام على عقول وقلوب جاهلية (علمانية)، ومن هؤلاء من يكون له بلاء حسن في نصرة الدين ودفاع عن أهله وهذا كله لا يشفع في تسليمه زمام المسيرة الجهادية ما لم يكن إسلامي الفهم والسلوك معلوما لأهل الإيمان والجهاد، فقد قال ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» رواه البخاري، ونَصَرَ أبو طالب وهو كافر رسول الله ﷺ ومَنَعَه بمكة. وهذه النصيحة أقولها لتحذير المجاهدين من رجال الأحزاب العِلمانية المتخصصين في ركوب الموجات للوصول إلى مقاليد السلطة، فإذا كانت الموجة الإسلامية طاغية تَمَسْلَم لها. وفي حديث حذيفة المتفق عليه وصف رسول الله ﷺ قوما بقوله: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» قال حذيفة: قلت يا رسول الله صفهم لنا؟ قال ﷺ: «هم من جلدَتنا ويتكلمون بألسنتنا» اهـ. قلت: فهؤلاء من جلدتنا أي ظاهرهم الإسلام، ويتكلمون بألسنتنا أي بالإسلام والكتاب والسنة، ومن أجابهم واتبعهم قذفوه في جهنم. قلت: فلا بد أن تكون القيادة في العمل الإسلامي إسلامية من الجلد إلى النخاع"[5].

قال الأوزاعي: "كان بعض أهل العلم يقولون: "لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صدقة ولا صياما ولا جهادا ولا حجا ولا صرفا ولا عدلا"، وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منه قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم، قال: ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترا ولا يُظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها، فأما إذا جاهروا به فنشرُ العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمةٌ يعتصم بها على مُصرٍّ ملحد".

---

(1) سورة النساء: ٧٦.

(2) العمدة في إعداد العدة: ثالثا: العلم اللازم للطائفة المجاهدة.

(3) سورة الزمر: ٣.

(4) سورة الكافرون: ٦.

(5) العمدة في إعداد العدة: ص٤٦٠. (في آخر الكتاب).

ثم روى بإسناده: "جاء رجل إلى حذيفة - وأبو موسى الأشعري قاعدا – فقال: أرأيت رجلا ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل أفي الجنة أم في النار؟ قال أبو موسى: في الجنة!!. فقال حذيفة: استفهم الرجل وأفهمه ما تقول. – حتى قال ذلك ثلاث مرات – فلما كان في الثالثة قال: والله لا أستفهمه. فدعا به حذيفة فقال: رويدك؛ وما يدريك أن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة، وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله للحق فهو في النار. ثم قال: والذي نفسي بيده ليدخلن النارفي مثل ما سألت عنه أكثر من كذا وكذا"[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمرتد من أشرك بالله تعالى، أو كان مبغضا للرسول صلى الله عليه وسلم، ولما جاء به، أو ترك إنكار منكر بقلبه، أو توهم أن أحدا من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم قاتل مع الكفار، أو أجاز ذلك، أو أنكر مجمعا عليه إجماعا قطعيا، أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم"[2].

إذن نصل من كل هذا إلى أن كل راية غير راية التوحيد الصافي - التي شرع الجهاد لإعلائها - وراية الشرك - التي شرع الجهاد لإزالتها - فهي راية عمية، وهي راية قد تكون مختلطة تخلط الخير بالشر، والحق بالباطل، والإيمان بالكفر، أو تجمع أهدافا غير شرعية مع التوحيد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» متفق عليه.

قال ابن حجر: "قوله: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» المراد بـ«كلمة الله» دعوة الله إلى الإسلام، ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يكون في سبيل الله إلا من كان سبب قتاله طلب إعلاء كلمة الله فقط بمعنى أنه لو أضاف إلى ذلك سببا من الأسباب المذكورة أخل بذلك"[3].

فبما أن القتال قد شرع لتكون كلمة الله (التوحيد الخالص) هي العليا، وبما أن هذا هو سبيل الله تعالى وراية القتال الشرعية، فإن كل ما سوى ذلك من الرايات والسبل باطلة لا يقاتل من أجلها ولا يعمل لها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ثم قال: «هذا سبيل الله». ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾[4]. رواه أحمد والدارمي.

قال الشيخ سليمان النجدي – في شرح هذه الآية -: "قال القرطبي: "وعن مجاهد في قوله ﴿ولا تتبعوا السبل﴾، قال: البدع والشبهات". رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم. وهذه السبل تعم اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وعباد القبور، وسائر أهل الملل والأوثان، والبدع والضلالات من أهل الشذوذ والأهواء"[5].

وأمثال هذه السبل والرايات كلها رايات وغايات باطلة لا يجوز القتال تحتها، والعبرة بالمضمون لا بالمسميات، فمن الممكن أن تُرفع راية باسم الإسلام، ويثبت أن المراد بهذا اللفظ مسمى غير دين الإسلام وغير التوحيد الخالص، أو أنها تحوي في مضمونها ما هو ليس من

---

(1) نقلا من "مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب: ص٢٩، و"عقيدة الموحدين": ص٧٣-٧٤.

(2) الاختيارات الفقهية: باب حكم المرتد: ص ٥٢٧.

(3) فتح الباري: ج٦/ص٢٨.

(4) الآية من سورة الأنعام: ١٥٣، والحديث رواه الدارمي: حديث رقم: ٢٠٤.

(5) تيسير العزيز الحميد: ص٦٠.

الإسلام بل هو من الشرك، فهي راية لا تقاتِل ليكون الدين كله لله، بل ليكون أكثره لله وبعضه لغير الله، وعند هذا المنزلق يقف الإسلام موقفا صارما، لا يقبل فيه التنازل، فإما أن يكون قتالاً ليكون الدين كله لله فتكون الراية شرعية والقتال جهادا في سبيل الله، وإما أن يكون بعض الدين لغيره تعالى فتكون الراية أقل ما يقال فيها أنها عمية إن لم تكن راية شرك، ويكون القتال من أجلها أقل ما يقال عنه أنه قتال غير شرعي، وليس جهادا في سبيل الله بل في سبيل الشيطان كما ورد في الحديث السابق، ومثل هذه الراية ينبغي قتالها لا القتال من أجلها، قال ابن تيمية: "قال الله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ فإذا كان بعض الدين لله. وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله"[1]

وقال تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾، فسبيل الله هو التوحيد الخالص، وفيه يقاتل المؤمنون، وكل سبيل غيره هو سبيل الطاغوت، وفيه يقاتل أولياء الشيطان، والله المستعان.

---

(1) مجموع الفتاوى: ج٣/ ص٥٣٤.

الفصل الثالث:

الرد على حجة من يُجيز جهاد الدفع تحت أية راية كانت

الجهاد فرض كفاية – على الأصح – "ويتعين في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام، لقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾[1]، وقوله: ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله﴾[3].

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد، تعين على أهله قتالهم ودفعهم[4].

الثالث: إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير معه، لقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾[5] والتي بعدها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا استنفرتم فانفروا»"[6].

وقد زعم البعض أن جهاد الدفع يجوز تحت أية راية، ولو كانت راية كفر صراح أو ردة سافرة، وهؤلاء قد أشكل عليهم بعض أقوال العلماء في أن جهاد الدفع لا يشترط له شرط، مثل قول ابن تيمية: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان"[7].

ففهم هؤلاء من عبارة "لا يشترط له شرط" أنه لا تشترط له راية فبالتالي يجوز الدفع تحت أية راية كانت ولو كانت راية كفر وشرك.

هل فعلا يقصد من العبارة السابقة عدم اشتراط الراية بمعنى جواز القتال تحت أية راية كانت ولو كانت راية كفر؟.

في الحقيقة أن المقصود من هذه العبارة وأمثالها من أقوال العلماء الشروط التي يذكرونها عادة عند الحديث عن جهاد الطلب، والتي لا تشترط في جهاد الدفع، ويظهر ذلك جليا من سياق الكلام الذي ترد فيه أمثال العبارة السابقة.

فقد ورد في المغني: "ويشترط لوجوب الجهاد سبعة شروط: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والسلامة من الضرر ووجود النفقة، فأما الإسلام والبلوغ والعقل فهي شروط

---

(1) سورة الأنفال: ٤٥.

(2) سورة الأنفال: ٤٦.

(3) سورة الأنفال: ١٥-١٦.

(4) والصورة المتمثلة في مثل هذه الأقوال، بأن يكون بلد ما يحكم بالإسلام فيصول عليه الكفار، فيهب المسلمين للدفاع عن الإسلام والمسلمين.

(5) سورة التوبة: ٣٧.

(6) المغني والشرح الكبير: ج١٠/ ص٣٦١.

(7) الاختيارات الفقهية: كتاب الجهاد: ص ٥٣١-٥٣٢.

لوجوب سائل الفروع، ولأن الكافر غير مأمون في الجهاد، والمجنون لا يتأتى منه الجهاد، والصبي ضعيف البنية"[1].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "قال القاضي إذا تعين فرض الجهاد على أهل بلد، وكان على مسافة تقصر فيها الصلاة، فمن شرط وجوبه: الزاد والراحلة، كالحج.

وما قاله القاضي من القياس على الحج لم ينقل عن أحمد وهو ضعيف، فإن وجوب الجهاد قد يكون لدفع ضرر العدو فيكون أوجب من الهجرة، ثم الهجرة لا تعتبر فيها الراحلة – إلى أن قال: – وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعا، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر، وبين طلبه في بلاده.

والجهاد منه ما هو باليد ومنه ما هو بالقلب، والدعوة، والحجة، واللسان، والرأي، والتدبير، والصناعة. فيجب بغاية ما ممكنة"[2].

وقال: "وإذا دخل العدو بلاد الإسلام، فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم. ونصوص أحمد صريحة بهذا. وهو خير مما في المختصرات"[3].

يتبين من العبارات السابقة بجلاء المقصود من نفي الشروط في جهاد الدفع، ولذلك ينبغي أن لا تُحمل تلك العبارات مالا تحتمل، وألا تصرف إلى ما لا دليل عليه، من القتال تحت رايات الكفر في قتال الدفع، مع أن قائل العبارة السابقة - وهو شيخ الإسلام ابن تيمية - له كلام واضح وجلي في تحريم هذا النوع من القتال وعدم شرعيته – كما سيأتي معنا لاحقا – مما يؤكد المفهوم الصحيح الذي بيّناه في المعنى المقصود في نفي وجود شروط لجهاد الدفع، وبطلان الاستدلال بمثل هذه الأقوال على مثل تلك النتائج، والله أعلم.

---

(1) المغني مع الشرح: ج١٠/ص٣٦١.

(2) الاختيارات الفقهية: كتاب الجهاد: ص ٥٣١-٥٣٢.

(3) الاختيارات الفقهية: كتاب الجهاد: ص ٥٣٤.

الفصل الرابع:

حكم القتال مع القبوريين ومظهري الشرك

وفيه مسائل:

الأولى : حكم الله في الأوثان ومواضع الشرك.

الثانية : عدم جواز تأخير هدم المشاهد ومواضع الشرك.

الثالثة : هل البلد الذي لا تهدم فيها القباب أو يظهر فيها الشرك دار إسلام؟

الرابعة : حكم القتال مع القبوريين ومظهري الشرك في قتال الدفع وغيره.

الخامسة: الرد على شبهة الاستدلال بحديث قتال الزبير مع النجاشي.

سادسا : الرد على شبهة التحجج بالقتال مع كل بر وفاجر على القتال مع رايات تحمل الشرك.

*****

المسألة الأولى: حكم الله في الأوثان ومواضع الشرك.

قال ابن القيم رحمه الله: ''وأبلغ من ذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضرار وفي هذا دليل على هدم ما هو أعظم فسادا منه، كالمساجد المبنية على القبور. فإن حكم الإسلام فيها: أن تهدم كلها، حتى تسوى بالأرض. وهي أولى بالهدم من مسجد الضرار وكذلك القباب التي على القبور، يجب أن تهدم كلها لأنها أسست على معصية الرسول، لأنه قد نهى عن البناء على القبور - كما تقدم -، فبناء أسس على معصيته ومخالفته بناء غير محترم وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً''[1].

''وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند أيضاً[2]: حدثني نصر ابن علي، ثنا عبد الله بن داود، عن نعيم بن حكيم، عن علي رضي الله عنه قال: "كان على الكعبة أصنام فذهبت لأحمل النبي ﷺ إليها فلم أستطع فحملني فجعلت أقطعها ولو شئت لنلت السماء".

وأورد الهيثمي الحديث في مجمع الزوائد[3] (باب تكسيره ﷺ الأصنام) وقال عقبة: "رواه أحمد وابنه أبو يعلى والبزار، زاد بعد قوله حتى استترنا بالبيوت: فلم يوضع عليها بعد؛ يعني شيئاً من تلك الأصنام" قال: "ورجال الجميع ثقات".

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[4]: حدثنا أبو نعيم الحافظ إملاء، حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلاد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عبد الله بن داود الخريبي، عن نعيم بن حكيم المدائني، قال حدثني أبو مريم عن علي ابن أبي طالب، قال: "انطلق بي رسول الله ﷺ إلى الأصنام فقال: «اجلس» فجلست إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله ﷺ على منكبي ثم قال: «انهض بي إلى الصنم»، فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال: «اجلس»، فجلست وأنزلته عني وجلس لي رسول الله ﷺ ثم قال لي: "يا عليّ اصعد على منكبي" فصعدت على منكبيه، ثم نهض

---

(1) إغاثة اللهفان: ج١/ص٣٢٧.

(2) ١٥١/١.

(3) ٢٣/٦.

(4) ٣٠٢/١٣، ٣٠٣.

بي رسول الله ﷺ، فلما نهض خيل إلي أني لو شئت نلت السماء وصعدت على الكعبة، وتنحى رسول الله ﷺ، فألقيت صنمهم الأكبر - صنم قريش - وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله ﷺ: "عالجه" فعالجته فما زلت أعالجه ورسول الله ﷺ يقول: «إيه، إيه، إيه»، فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه، فقال: «دقه» فدققته وكسرته، ونزلت".

قلت: أبو مريم: هو قيس الثقفي المدائني، يروي عن علي وعنه نعيم بن حكيم، ذكره ابن حبان في الثقات، ووثقه النسائي، ولكنه كما قال الحافظ ابن حجر: "وهم في قوله أن أبا مريم الحنفي يسمى قيساً، والصواب أن الذي يسمى قيساً هو أبو مريم الثقفي.. إلى أن قال: على أن النسخة التي وقفت عليها من كتاب التمييز للنسائي إنما فيه أبو مريم قيس الثقفي نعم ذكره في التمييز.. وأما أبو مريم الحنفي فلم يذكره النسائي لأنه لم يذكر إلا من عرفه" اهـ.

والذين تكلموا في الحديث خلطوا بين الرجلين.. فتنبه لهذا.. وقد وثقه أيضاً الحافظ الذهبي في الكاشف[1] وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، والبخاري في التاريخ الكبير، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.. فهو غير الحنفي وغير الكوفي أيضاً راجع ميزان الاعتدال[2].

والحديث صححه العلامة أحمد شاكر فقال في هامش تحقيقه للمسند[3]: "إسناده صحيح، نعيم بن حكيم وثقه ابن معين وغيره وترجم له البخاري في التاريخ الكبير (٩٩/٢/٤) فلم يذكر فيه جرحاً، أبو مريم: هو الثقفي المدائني، وهو ثقة وترجم له البخاري أيضاً (١٥١/١/٤) فلم يذكر فيه جرحاً... قال: ومن الواضح أن هذه القصة كانت قبل الهجرة" اهـ.

أقول: ومع هذا فقد قلنا في هذا الكتاب بعد أن سقنا الحديث: "ومع ذلك نقول لو سلمنا جدلاً أنه لم يصح عن النبي ﷺ تحطيم الأصنام في مكة زمن الاستضعاف، فإنه صلوات الله وسلامه عليه كان متبعاً لملة إبراهيم أشد الاتباع آخذاً بها بقوة، فما داهن الكفار لحظة واحدة وما سكت عن باطلهم أو عن آلهتهم، بل كان همه وشغله الشاغل في تلك الثلاث عشرة سنة، بل وغيرها هو: ﴿**اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾[4]، فلا يعني كونه جلس بينها تلك الثلاث عشرة سنة، أنه مدحها أو أثنى عليها أو أقسم على احترامها..." إلى قولنا: "بل كان يعلن براءته من المشركين وأعمالهم، ويبدي كفره بآلهتهم رغم استضعافه واستضعاف أصحابه، وقد فصلنا لك هذا فيما مضى ولو تأملت القرآن المكي لوضح لك من ذلك الكثير.. إلخ".

فالمسألة إذاً ليست كما يظنها هؤلاء القوم، موقوفة على حديث فرد يقضي عليها بتضعيفه، بل لها شواهد عظيمة، وبراهين صريحة، وأصول ثابتة، وقواعد راسية من أدلة الشرع، لا يقوى على ردها إلا مكابر جاحد.

فالحق ركنٌ لا يقومُ لهدّه ... أحدٌ ولو جمعت له الثقلان

ولعل في هذا القدر الكفاية لمن أراد الهداية"[5].

وقال ابن القيم: "وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن

---

(1) ٣٧٦/٣.

(2) ٥٧٣/٤.

(3) ٥٨/٢.

(4) سورة النحل: ٣٦.

(5) ملة إبراهيم: ص١٠-١٢، للشيخ أبي محمد المقدسي فك الله أسره.

يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمها"[١].

وقال ابن القيم: "وفي القصة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل البيت، وصلى فيه، ولم يدخله حتى محيت الصور منه. ففيه دليل على كراهة الصلاة في المكان المصور، وهذا أحق بالكراهة من الصلاة في الحمام، لأن كراهة الصلاة في الحمام، إما لكونه مظنة النجاسة، وإما لكونه بيت الشيطان، وهو الصحيح، وأما محل الصور، فمظنة الشرك، غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور"[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: "أمر عمر ابن الخطاب بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة – إلى أن قال – فإذا كان هذا فعل عمر بالشجرة التي ذكرها الله في القرآن، وبايع تحتها الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا حكمه فيما عداها من هذه الأنصاب والأوثان التي قد عظمت الفتنة بها، واشتدت البلية بها"[٣].

وقال ابن تيمية: "وأما مشاهد القبور ونحوها: فقد اتفق أئمة المسلمين على أنه ليس من دين الإسلام أن تُخص بصلاة أو دعاء، أو غير ذلك، ومن ظن أن الصلاة والدعاء والذكر فيها أفضل منه في المساجد فقد كفر"[٤].

وقال: "والمقصود هنا أن أئمة المسلمين متفقون على أن إقامة الصلوات الخمس في المساجد هي من أعظم العبادات، وأجل القربات، ومن فضل تركها عليها إيثارا للخلوة والانفراد على الصلوات الخمس في الجماعات أو جعل الدعاء والصلاة في المشاهد أفضل من ذلك في المساجد، فقد انخلع من ربقة الدين"[٥].

وقال: "وأما الزيارة البدعية وهي زيارة أهل الشرك من جنس زيارة النصارى الذين يقصدون دعاء الميت والاستغاثة به وطلب الحوائج عند قبره"[٦].

وقال: "هذا من جنس دين النصارى ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم والتابعون يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم"[٧].

وقال: "والزيارة البدعية هي من أسباب الشرك بالله تعالى ودعاء خلقه"[٨].

وقال أيضا: "وقد اتفق أئمة المسلمين على أن الصلاة في المشاهد ليس مأمورا لا أمر إيجاب ولا أثر استحباب ولا في الصلاة في المشاهد التي على القبور ونحوها باتفاق أئمة المسلمين، فمن اعتقد أن الصلاة عندها، فيها فضل على الصلاة على غيرها أو أنها أفضل من الصلاة في بعض المساجد فقد فارق جماعة المسلمين ومرق من الدين بل الذي عليه الأمة أن الصلاة فيها منهي عنه نهي تحريم... لما فيه من التشبه بالمشركين وأن ذلك أصل عبادة الأصنام"[٩].

---

(1) زاد المعاد: ج٣/ ص٤٣٧.

(2) زاد المعاد: ج٣/ ص٤٠٢.

(3) إغاثة اللهفان: ج١/ ص٣٢٦-٣٢٧.

(4) مجموع الفتاوى: ج٢٣/ ص٢٢٤.

(5) مجموع الفتاوى: ج٢٣/ ص٢٢٥.

(6) مجموع الفتاوى: ج٢٤/ ص٣٢٧.

(7) مجموع الفتاوى: ج٢٤/ ص٣٢٨.

(8) مجموع الفتاوى: ج٢٤/ ص٣٤٣. وانظر أيضا: ج٢٤/ ص٣٠٠ وما بعدها.

(9) مجموع الفتاوى: ج٢٤/ ص٣١٨-٣١٩، وانظر كذلك إلى توضيح هام جدا للزيارة البدعية في: ج٢٤/ ٣٣٤-٣٣٥.

كما قال شيخ الإسلام: ''وأما التمسح بالقبر والصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء في غيره أو النذر له ونحو ذلك فليس هذا من دين المسلمين بل هو مما أحدث من البدع القديمة التي هي من شعب الشرك والله أعلم وأحكم''[1].

قال ابن القيم رحمه الله: ''وقد كان بدمشق كثير من الأنصاب، فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين، كالعمود المخلق، والنصب الذي كان بمسجد التاريخ من المصلى يعبده الجهّال، والنصب الذي كان تحت الطاحون، الذي عند مقابر النصارى، ينتابه الناس للتبرك به، وكان صورة صنم في نهر القلوط ينذرون له ويتبركون به، وقطع الله النصب الذي كان عند الرحبة يسرج عنده، ويتبرك به المشركون. وكان عمودا طويلا على رأسه حجر كالكرة. وعند مسجد درب الحجر نصب قد بني عليه مسجد صغير، يعبده المشركون يسّر الله كسره''[2].

وقال رحمه الله: ''ومن أعظم كيد الشيطان أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظّمه الناس، ثم يجعله وثنا يعبد من دون الله، ثم يوحي إلى أوليائه: أن من نهى عن عبادته واتخاذه عيدا، وجعله وثنا فقد تنقصه (وهضم حقه) فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرونه. وذنبه عند أهل الشرك: أمْره بما أمر الله به ورسوله، ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله، من جعله وثنا وعيدا، وإيقاد السرج عليه، وبناء المساجد والقباب عليه وتجصيصه، وإشادته وتقبيله، واستلامه ودعاءه، أو الدعاء به، أو السفر إليه، أو الاستعانة به من دون الله، مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله من تجريد التوحيد به، وألا يعبد إلا الله، فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم، وقالوا: قد تنقص أهل الرتب العالية، وزعم أنهم لا حرمة لهم، ولا قدر. وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام، وكثير ممن يُنسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم. ووالوا أهل الشرك وعظموها، وزعموا أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك فما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتبعون له الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه لا المتشبهون بما لم يعطوا، لابسوا ثياب الزور الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، ويبغونها عوجا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا''[3].

وقال حافظ حكمي رحمه الله نظماً:

ومن على القبر سراجا أوقدا ... أو ابتنى على الضريح مسجدا
فإنــــه مجـــــدد جهــــــارا ... لســنن اليهــود والنصــارى
كم حذر المختار عن ذا ولعن ... فاعلـه كمـا روى أهـل السنن
بل نحروا في سوحها النحائر ... فعل أولـي التسييب والبحائر
والتمسوا الحاجات من موتاهم ... واتخــذوا إلهـهــم هواهـــم
بـل قـد نـهى عـن ارتفـاع قـبر ... وأن يــزاد فيــه فــوق شــبر
وكـل قـبر مشرف فقد أمـر ... وأن يسوى هكذا صح الخبر
وحـذر الأمــة عــن إطـرائه ... فغـــرّهم إبــليس باســتجرائهْ
فخـــالفوه جهـــرة وارتكـــبوا ... مـا قد نـهى عنه ولـم يجتنبوا
فانظـر إليهـم قـد غـلوا وزادوا ... ورفعـــوا بـــناءها وشـــادوا
بالشــيد والآجــر والأحجــار ... لا سـيما فـي هـذه الأعصــار

---

(1) مجموع الفتاوى: ج٢٤/ ص٣٢١.

(2) إغاثة اللهفان: ج١/ ص٣٢٩.

(3) إغاثة اللهفان: ج١/ ص٣٣٠.

وللقناديل عليها أوقدوا — وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلام والرايات — وافتتنوا بالأعظم الرفاة
قد صادهم إبليس في فخاخه — بل بعضهم قد صار من فراخه
يدعو إلى عبادة الأوثان — بالمال والنفس وباللسان
فليت شعري من أباح ذلك — وأورط الأمة في المهالك
فيا شديد الطول والإنعام — إليك نشكوا محنة الإسلام[1]

أقوال الأحناف

روى محمد بن حسن الشيباني عن شيخه أبي حنيفة رحمهما الله أنه قال: حدثني شيخي يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أنه نهى عن تربيع القبور وتجصيصها[2].

وسئل الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة: أرأيت القبر هل تكره أن يجصص. قال: نعم[3].

وقال السرخسي في مبسوطه: لا تجصص – أي القبور - لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن تجصيص القبور وتربيعها[4].

وقال قاضي قضاة الحنفية حسن بن المنصور الملقب بقاضي خان في فتاويه: لا يجصص القبر ولا يبنى عليه، لما روي عن أبي حنيفة أنه قال: ولا يجصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بناء[5].

وقال الكاساني: "ويكره تجصيص القبر وتطيينه، وكره أبو حنيفة البناء على القبر وأن يعلم بعلامة، وكره أبو يوسف الكتابة عليه[6]".

وقال القاضي إبراهيم الحنفي: "القباب التي بنيت على القبور يجب هدمها لأنها أسست على معصية الرسول ومخالفته، وكل بناء أسس على معصية الرسول ومخالفته فهو بالهدم أولى من المسجد الضرار"[7].

وقال أيضاً: "قد آل الأمر بهؤلاء الضالين المضلين إلى أن شرعوا للقبور حجا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا سماه "مناسك حج المشاهد" تشبيها منه للقبور بالبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ومنها (أي الأمور المخالفة للدين) إذا قصدوا القبور يقصدونها مع التعظيم والإكرام والخضوع والخشوع ورقة القلب، ومنها اتخاذ المساجد والسرج إليها... ومنها العكوف عندها وتعليق الستور عليها، واتخاذ السدنة لها والطواف بها وتقبيلها واستلامها ودعاء أصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية والولد وغير ذلك من الحاجات... ليس شيء منها مشروعا باتفاق أئمة المسلمين"[8].

---

(1) من منظومة "سلم الوصول إلى علم الأصول" لحافظ حكمي.

(2) كتاب الآثار للإمام محمد.

(3) كتاب الأصل: ج١/ ص٤٢٢، للإمام محمد.

(4) المبسوط للسرخسي المتوفي سنة ٤٨٣هـ: ج٢/ ص٦٢. طبعة بيروت.

(5) فتاوى قاضي خان: ج١/ ص١٩٤. على هامش الفتاوى الهنيدية.

(6) "بدائع الصنائع" للكاساني: ج١/ ص٣٢٠.

(7) مجالس الأبرار: ص١٢٩. لإبراهيم القاضي المتوفي سنة ١٠٠٠هـ.

(8) مجالس الأبرار: ص١١٨.

وقال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به[1].

*****

المسألة الثانية: عدم جواز تأخير هدم المشاهد ومواضع الشرك.

وقال ابن القيم رحمه الله: "ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك، والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شركا عندها، وبها، والله المستعان.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين"[2].

وقال أيضا: "فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أندادا من دون الله أحق بالهدم وأوجب"[3].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله من الابتلاء والمحن ما يعرض به المرء للفتنة؛ صار في الناس من يتعلل لترك ما وجب عليه من ذلك بأن يطلب السلامة من الفتنة، كما قال عن المنافقين: ﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا﴾ الآية"[4].

*****

المسألة الثالثة: هل البلد الذي لا تهدم فيه القباب أو يُظهر فيها الشرك دار إسلام؟.

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى: "ومن له مشاركة فيما قرره المحققون قد اطلع على أن البلد إذا ظهر فيها الشرك وأعلنت فيها المحرمات، وعطلت فيها معالم الدين، أنها تكون بلاد كفر - إلى أن قال في معرض الرد على من قال أن الإحساء (في ذلك الوقت) دار إسلام مستدلا بوجود من يظهر فيها إسلامه دون أن يمنعه أحد قال رحمه الله : - وارغب إلى الله في هداية القلب وإزالة الشبهة وما كنت أظن أن هذا يصدر من مثلك، ولا يغتر بما عليه الجهال وما يقوله أهل الشبهات، فإنه قد بلغني أن بعض الناس يقول في الإحساء من هو مظهر دينه لا يرد عن المساجد والصلاة وأن هذا عندهم هو إظهار الدين، وهذه زلة فاحشة غايتها أن أهل بغداد

---

(1) إغاثة اللهفان لابن القيم: ج١/ ص٣٣٤.

(2) زاد المعاد: ج٣/ ص٤٤٣.

(3) زاد المعاد: ج٣/ ص٥٠٠.

(4) مجموع الفتاوى: ج٢٨/ ص ١٦٥-١٦٦.

وأهل بنبج وأهل مصر قد أظهر من هو عندهم دينه فإنهم لا يمنعون من صلى ولا يردون عن المساجد فيا عباد الله أين عقولكم؟!!، فإن النزاع بيننا وبين هؤلاء ليس هو في الصلاة وإنما هو في تقرير التوحيد والأمر به، وتقبيح الشرك والنهي عنه والتصريح بذلك، كما قال إمام الدعوة النجدية: "أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأمر الأول: بعبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك والموالاة فيه وتكفير من تركه.

والأمر الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له والتغليظ في ذلك والمعاداة فيه، وتكفير من فعله".

هذا هو إظهار الدين يا عبد الله بن حسين فتأمل أرشدك الله مثل قوله تعالى في السور المكية: ﴿قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون...﴾ إلى آخر السورة، فهل وصل إلى قلبك أن الله أمره أن يخاطبهم بأنهم كافرون، وأخبر بأنه لا يعبد ما يعبدون أي أنه برئ من دينهم، ويخبرهم أنهم لا يعبدون ما يعبد أي أنهم بريئون من التوحيد ولهذا ختمها بقوله ﴿لكم دينكم ولي دين﴾"[١]

وقال أيضا رحمه الله: "بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد الذي هو دين جميع الرسل، وحقيقته هو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وهو أن يكون الله معبود الخلائق فلا يتعبدون لغيره بنوع من أنواع العبادة، ومخ العبادة هو الدعاء، ومنها الخوف والرجاء والتوكل والإنابة والفزع والصلاة وأنواع العبادة كثير، وهذا الأصل العظيم الذي هو شرط في صحة كل عمل، والأصل الثاني هو طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره وتحكيمه في دقيق الأمور وجليلها، وتعظيم شرعه ودينه والإذعان لأحكامه في أصول الدين وفروعه، فالأول ينافي الشرك ولا يصح مع وجوده والثاني ينافي البدع ولا يستقيم مع حدوثها، فإذا تحقق وجود هذين الأصلين علما وعملا ودعوة، وكان هذا دين أهل البلد – أي بلد كان – بأن عملوا به ودعوا إليه وكانوا أولياءً لمن دان به ومعادين لمن خالفه فهم موحدون، وأما إذا كان الشرك فاشيا مثل دعاء الكعبة والمقام والحطيم ودعاء الأنبياء والصالحين وإفشاء توابع الشرك مثل الزنا والربا وأنواع الظلم ونبذت السنة وراء الظهر وفشت البدع والضلالات وصار التحاكم إلى الأئمة الظلمة ونواب المشركين، وصارت الدعوة إلى غير القرآن والسنة وصار هذا معلوما في أي بلد كان، فلا يشك من له أدنى علم أن هذه البلاد محكوم عليها بأنها بلاد كفر وشرك، لا سيما إذا كانوا معادين لأهل التوحيد وساعين في إزالة دينهم ومعنيين في تخريب بلاد الإسلام، وإذا أردت إقامة الدليل على ذلك وجدت القرآن كله فيه، وقد أجمع عليه العلماء فهو معلوم بالضرورة عند كل عالم.

وأما قول القائل ما ذكرتم من الشرك إنما هو من أفقية لا من أهل البلد فيقال أولا: هذه إما مكابرة أو عدم علم بالواقع، فمن المقرر أن أهل الآفاق تبع لأهل تلك البلاد في دعاء الكعبة والمقام والحطيم، كما يسمعه كل سامع ويعرفه كل موحد، ويقال ثانيا: إذا تقرر وصار هذا معلوما فذلك كاف في المسألة، ومن الذي فرق في ذلك؟!. فيالله العجب إذا كنتم تخفون توحيدكم في بلادهم، ولا تقدرون أن تصرحوا بدينكم[٢] وتخافتون بصلاتكم[٣] لأنكم علمتم عداوتهم لهذا الدين[٤] وبغضهم لمن دان به، فكيف يقع لعاقل إشكال؟!!، أرأيتم لو قال رجل منكم لمن يدعو

---

(1) الدرر السنية: كتاب الجهاد/ ص٣٥٧-٣٥٨.

(2) المقصود هنا إخفاء أصل الدين وهو التوحيد، وليس إخفاء انتسابهم إلى الإسلام، وذلك لأن القوم ينتسبون إلى الإسلام ويتبرأون من الكفار، كما سيأتي في كلام الشيخ.

(3) وتخافتون بصلاتكم: المقصود هنا والله أعلم إخفاء سنن وهيئات الصلاة، وليس إخفاء الصلاة بالكلية، وذلك لأنهم – وكما ذكر الشيخ – يصلون ولا يمنعون أحد من الصلاة وورود المساجد.

(4) هم وإن لم يصرحوا بعدائهم للدين وزعموا أنهم مسلمين، إلا أن موقفهم من التوحيد وأهله هو عداء سافر للدين.

الكعبة أو المقام أو الحطيم أو يدعو الرسول[1] أو الصحابة: يا هذا لا تدع غير الله أو أنت مشرك. هل تراهم يسامحونه أم يكيدونه؟!، فليعلم المجادل أنهم ليسوا على توحيد الله، فوالله ما عرف التوحيد ولا تحقق بدين الرسول صلى الله عليه وسلم، رأيت لو أن رجلا عندهم، وقال: يا هؤلاء راجعوا دينكم، واهدموا البنايا التي على القبور، ولا يحل دعاء غير الله هل يكفيهم فيه فعل قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم؟!!. لا والله لا والله، وإذا كانت الدار دار إسلام لأي شيء لم تدعوهم إلى الإسلام وتأمروهم بهدم القباب واجتناب الشرك وتوابعه؟!، فإن يكن قد غركم أنهم يصلون أو يحجون فتأملوا الأمر من أوله، وهو أن التوحيد قد تقرر في مكة بدعوة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، ومكث أهل مكة عليه مدة من الزمان ثم إنه فشا فيهم الشرك بسبب عمرو بن لحي، فصاروا مشركين، وصارت البلاد بلاد شرك مع أنه قد بقي معهم أشياء من الدين كما كانوا يحجون ويتصدقون على الحاج، وقد بلغكم شعر عبد المطلب الذي أخلص فيه في قصة الفيل، وغير ذلك من البقايا، ولم يمنع ذلك الزمان من تكفيرهم وعداوتهم بل الظاهر عندنا وعند غيرنا أن شركهم اليوم من ذلك الزمان، بل قبل هذا كله أنه مكث أهل الأرض عشرة قرون على التوحيد حتى حدث فيهم الغلو في الصالحين، فدعوهم مع الله فكفروا فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد، فتأمل ما قص الله عنهم، وكذلك ما ذكر الله عن هود أنه دعاهم إلى إخلاص العبادة لله لأنهم لم ينازعوه في أصل العبادة، وكذلك إبراهيم دعا قومه إلى إخلاص التوحيد، وإلا فقد أقروا لله بالإلهية، وجماع الأمر أنه إذا ظهر في بلد دعاء غير الله وتوابع ذلك واستمر أهلها عليه، وقاتلوا عليه وتقررت عندهم عداوة أهل التوحيد، وأبوا عن الانقياد للدين فكيف لا يُحكم عليها بأنها بلد كفر؟!، ولو كانوا لا ينتسبون لأهل الكفر، وأنهم منهم بريئون، من أهل مكة أو غيرهم، مع أن مسبتهم لأهل التوحيد وتخطيئهم لمن دان به، والحكم عليهم بأنهم خوارج أو كفار[2]، فكيف إذا كانت هذه الأشياء كلها موجودة، فهذه مسألة عامة.

وأما القضايا الجزئية فنقول قد دل القرآن والسنة على أن المسلم إذا حصلت منه موالاة أهل الشرك والانقياد لهم ارتد بذلك عن دينه"[3].

*****

المسألة الرابعة: حكم القتال مع القبوريين ومظهري الشرك في قتال الدفع وغيره.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم وربما يفعلونه بالأموات لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعونه دعاء المضطر راجين قضاء حاجاتهم بدعائه والدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم الله تعالى ودعائهم إياه فإنهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى أن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم. وقال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر

---

(1) كمثل الذي اشتهر هذه الأيام من قولهم "يا الله يا محمد"، وكتابتهم هذا الشرك على الجدران وعلى اللوحات التي تعلق في المساجد والبيوت وغيرها من الأماكن.

(2) فتأمل أخي الكريم هذا القول، لتعلم أن هذا ديدن أهل الشرك والتنديد على مر العصور، فهم يرمون من أخلص التوحيد لله بشتى الأسماء والألفاظ والمسبات التي يراد بها صرف الناس وتنفيرهم عن دعوة الأنبياء والمرسلين، وحقيقة التوحيد، فتارة يقال عنهم تكفيريين، وتارة وهابيين، وتارة خوارج، والله المستعان.

(3) الدرر السنية: كتاب الجهاد/ ص٣٥٨-٣٦٠.

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

فقلت لهم هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قد قضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك ولحكمة كانت لله عز وجل في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة من القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من القائلين[1] الذين اعتقدوا هذا قتالا شرعيا أجروا على نياتهم، فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله عز وجل والاستغاثة به وأنهم لا يستغيثون إلا إياه[2] لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل كما قال تعالى يوم بدر ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾". انتهى قول شيخ الإسلام[3].

وقال شيخ الإسلام: "والكتاب والسنة مملوءان بالأمر بالجهاد وذكر فضيلته لكن يجب أن يُعرف الجهاد الشرعي الذي أمر الله به ورسوله من الجهاد البدعي جهاد أهل الضلال الذين يجاهدون في طاعة الشيطان، وهم يظنون أنهم مجاهدون في طاعة الرحمن، كجهاد أهل البدع والأهواء، كالخوارج ونحوهم -- إلى أن قال: - وكذلك من خرج من أهل الأهواء على أهل السنة واستعان بالكفار من أهل الكتاب والمشركين والتتر وغيرهم هم عند أنفسهم مجاهدون في سبيل الله، بل وكذلك النصارى هم عند أنفسهم مجاهدون، وإنما المجاهد في سبيل الله من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله، كما في الصحيحين عن أبي موسى قال: قيل يا رسول الله: الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله، قال صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وقد قال الله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ والجهاد باللسان هو لما جاء به الرسول كما قال تعالى في السورة المكية الفرقان: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا، فلا تطع الكافرين[4]﴾ الآية، وإذا كان كذلك فالجهاد أصله ليكون الدين كله لله، بحيث تكون عبادته وحده هو الدين الظاهر، وتكون عبادة ما سواه مقهورا مكتوما أو باطلا معدوما، كما قال في المنافقين وأهل الذمة إذا كان لا يمكن الجهاد حتى تصلح جميع القلوب فإن هدى القلوب إنما هو بيد الله، وإنما يمكن حتى يكون الدين ظاهرا، دين الله، كما قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ ومعلوم أن أعظم الأضداد لدين الله هو الشرك، فجهاد المشركين من أعظم الجهاد، كما كان جهاد السابقين الأولين، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» وكلمة الله إما أن يراد بها كلمة معينة وهي التوحيد لا إله إلا الله، فيكون هذا من نمط

---

(1) هكذا ورد في الكتاب "القائلين" وقد يكون الصحيح "المقاتلين".

(2) وقد زعم البعض قائلا: "ثم قفزة أخرى إلى أيام التتار وقد وقف فيمن وقف في مرحلتها إمامين جليلين من أعظم أئمة الإسلام، أولهما ابن تيمية، حرّض الناس على قتالهم وقاتل بنفسه، ومع من؟!، مع المماليك وأمراء المماليك من جيش مصر والشام، وما المماليك؟! انظر تاريخهم وانظر انتشار الجهل والبدع والتصوف وحجّهم القبور وتعظيمهم لقبر البدوي في مصر .... الخ"، فانظر إلى هذا الافتراء العظيم، والمنزلق الخطير الذي أوقع به نفسه هذا الكاتب حينما أراد أن يستدل بوقائع تاريخية لا يقر بها من نسبها إليه ليبني عليها أحكاما شرعية، بل وقد جعل في تتمة كلامه أمثال هؤلاء ممن ذكرهم من عباد القبور الطائفة المنصورة التي أثنى عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، ونسب هذا الزعم إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو بريء منها، وهذا الذي خطه ابن تيمية رحمه الله هنا تثبت براءته من هذه التهم الباطلة التي ساقها الكاتب.

(3) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "تلخيص كتاب الاستغاثة" المعروف بـ "الرد على البكري"، صفحة ٣٧٦-٣٧٨، طبعة الدار العلمية -- الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ.

(4) تتمة الآية ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا﴾.

الآية، وإما أن يراد بها الجنس أن يكون ما يقوله الله ورسوله فهو الأعلى على كل قول، وذلك هو الكتاب ثم السنة، فمن كان يقول بما قاله الرسول ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه فهو القائم بكلمة الله ومن قال ما يخالف ذلك من الأقوال التي تخالف قول الرسول فهو الذي يستحق الجهاد"[١].

*****

المسألة الخامسة: الرد على شبهة التحجج بالقتال مع كل بر وفاجر على جواز القتال مع رايات تحمل الشرك.

قال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز – في سرده للأعذار الباطلة التي يتعذر بها عن الجهاد – قال: "٣ - ومن الأعذار الباطلة، القول بأن القائمين على أمر الجهاد ليسوا على المستوى الخلقي والتربوي والشرعي المطلوب، وبالتالي لا يجوز العمل معهم!، وهذه شبهة وجوابها أنه لو أن أمير الجهاد رجل فاجر وكذلك كثير من أتباعه، لكنهم يسعون لقتال الكافرين، فالواجب شرعا العمل معهم ومعاونتهم، وهذا أصل مقرر عند أهل السنة والجماعة، وسأشير إليه بالتفصيل في الباب الثالث، وأذكر هنا بعض ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة قال: "ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور، فأنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها. فهذا هو الواجب في هذه الصورة، وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه"[٢].

وقد كان المنافقون يغزون مع رسول الله ﷺ ولم يقل أحد لا نغزو مع النبي ﷺ طالما خرج المنافقون ومنهم الذي قال في غزوة بني المصطلق ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾[٣]، ومنهم الذين قالوا في غزوة الخندق ﴿إن بيوتنا عورة﴾[٤]، ومنهم الذين سخروا من علماء الصحابة في غزوة تبوك فأنزل الله فيهم ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾[٥]. وكان خلفاء بني أمية يؤخرون الصلوات وما قال أحد لا يجوز الغزو معهم[٦] والأمثلة كثيرة.

فهذه بعض الأعذار الباطلة التي لا تبيح التخلف عن الجهاد والتدرب له"[٧].

وقال الشيخ أيضا: "**الفاجر هو:** غير العدل، و**العدالة هي:** "استواء أحواله في دينه، وقيل من لم تظهر منه ريبه... ويعتبر لها شيئان:

١ - الصلاح في الدين: وهو أداء الفرائض برواتبها، واجتناب المحرم بأن لا يأتي كبيرة ولا يُدْمن على صغيرة.

---

(1) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "الرد على الأخنائي"، صفحة ٣٢٥-٣٢٧، طبعة الدار العلمية – الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ.

(2) مجموع الفتاوى: ج٢٨/ ص٥٠٦-٥٠٧.

(3) المنافقون: ٨.

(4) الأحزاب: ١٣.

(5) الآية بسورة التوبة.

(6) انظر كتاب مواقيت الصلاة بالبخاري: حديث ٥٢١، ٥٣٠، ٥٤٩ وشروحها.

(7) العمدة في إعداد العدة: الباب الثاني/ الأعذار الشرعية.

٢ - استعمال المروءة: بفعل ما يُجَمِّله ويُزَيِّنُه وترك ما يُدَنِّسه ويشينه"[1]"[2].

وقال أيضاً: "قلت: بل قد ذكر ابن تيمية عن أحمد كلاما أشد من هذا في المفاضلة بين الأمير الفاجر القوي والصالح الضعيف. فقال ابن تيمية: "اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم أشكو إليك جَلَدَ الفاجر، وعَجْزَ الثقة. فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها. فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة، قُدِّم أنفعهما لتلك الولاية: وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع - وإن كان فيه فجور - على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أمينا، كما سُئل الإمام أحمد: عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يُغْزَى؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين، وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين. فيُغزى مع القوي الفاجر. وقد قال النبي ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر». وروي «بأقوام لا خلاق لهم». وإن لم يكن فاجرا، كان أولى بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين إذا لم يسد مَسَدَّه"[3].

قلت: لاحظ في كلام الإمام أحمد السابق أنه قيد فجور الأمير بأنه (فجوره على نفسه)، لتعلم صحة التقسيم الذي قسمته إلى من يكون فجوره على نفسه ومن يكون فجوره يضر بالإسلام والمسلمين، وسنذكر كلام الإمام أحمد في الصنف الثاني عند الكلام عنه حيث قال: "لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين" وسيأتي"[4].

وقال أيضاً: "**الوجه الثاني: وهو الأمير الذي يَضرُ فجوره بالإسلام والمسلمين.**

كمن لا يبالي بتضييع المسلمين بلا مصلحة، أو من يمالئ العدو في الباطن ويخون قضية الجهاد، فالقول عندي في هذا ألا يُخْرَج معه للجهاد، إذا كانت مفسدة الخروج معه مثل أو أشد من مفسدة العدو، إذ إن الخروج معه مضرة محضة أو لا مصلحة فيه، **كهؤلاء الذين يحشدون الناس ويثيرونهم باسم الإسلام والجهاد في سبيل الله، إما لحماية أنظمة حكمهم العلمانية وإما لمقاومة عدو أجنبي لينتهي الأمر بإقامة حكم عِلماني كافر، وأمثلة هذا في زماننا المعاصر كثيرة.**

قال ابن قدامة الحنبلي: "(فصل) قال أحمد لا يعجبني أن يخْرُجَ مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين وإنما يَغْزُوا مع من له شفقة وحيطة على المسلمين، فإن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه إنما ذلك في نفسه، ويُروى عن النبي ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»" – إلى أن قال:

وأختم هذه المسألة بتنبيه الإخوة المسلمين إلى أنه قلما يشير المُصنِّفون إلى التفريق بين الأمير الفاجر في نفسه، ومن يضر فجوره بالإسلام والمسلمين، فيجب ألا يُغفل هذا الفرق.

كما يجب أن تُحمل المسألة المشهورة في كتب العقائد والفقه وهي (الغزو مع الفاجر) على الوجه الأول فقط مما ذكرته، وأن المقصود بالفاجر في هذه المسألة هو من فجوره في نفسه ولم يُمكن الغزو إلا معه، أما من فيه ضرر بالمسلمين أو خيانة للإسلام فلا يدخل في هذه المسألة. والله تعالى أعلم"[5].

---

(1) منار السبيل: ص٤٨٧ - ٤٨٨ ط المكتب الإسلامي ١٤٠٤هـ.

(2) العمدة في إعداد العدة: الباب الثاني/ الباب الثالث: الإمارة/ سادسا: مسألة الغزو مع الأمير الفاجر.

(3) مجموع الفتاوى: ج٢٨/ ص٢٥٤،٢٥٥.

(4) **العمدة في إعداد العدة: الباب الثاني/ الباب الثالث: الإمارة/ سادسا: مسألة الغزو مع الأمير الفاجر.**

(5) **العمدة في إعداد العدة: الباب الثاني/ الباب الثالث: الإمارة/ سادسا: مسألة الغزو مع الأمير الفاجر.**

قلت: لا شك أن الكلام الذي تقدم كله في الفاجر الذي خدش عدالته بارتكاب الكبائر أو بالإصرار على الصغائر[1]، أو المنافق الذي كتم كفره وشركه ولم يثبت عليه ثبوتا شرعياً، ولا يصح حمل هذه الأقوال على جواز القتال مع المجاهرين بشركهم وكفرهم والذين ثبتت عليهم المكفرات ثبوتا شرعياً، وأمثال هؤلاء يذكر أحكام القتال معهم في أبواب الاستعانة بالمشركين والمرتدين[2] وأبواب موالاة ونصرة الكفار والمشركين والمرتدين في بحوث الولاء والبراء، وتحمل العبارات الواردة في مثل هذه المواضيع عليهم، لا مواضيع القتال مع كل بر وفاجر، وإليك بيان ذلك.

قال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز: "ويحتج البعض بحديث «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» وأن هذا الفاجر قاتل مع المسلمين، **وليس في هذا الحديث حجة في الاستعانة بالمشرك إذا الفجور لا يعني الشرك وحده**، وقد ثبت بالنصوص الأخرى الواردة **في قصة هذا الفاجر أنه كان يُظهر الإسلام ولم يُظهر الشرك**، وأحكام الدنيا تجري على الظاهر، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يَدَّعي الإسلام: «هذا من أهل النار»"[3]، وقال ابن حجر في نفس هذا الرجل: "وفي حديث أكثم بن أبي الجون الخزاعي عند الطبراني قال: قلنا يا رسول الله فلان يجزي في القتال. قال: «هو في النار». قلنا: يا رسول الله إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فأين نحن؟. قال ﷺ: «ذلك أخبث النفاق»، قال: فكنا نتحفظ عليه في القتال"[4]"[5].

قال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز: "ولذلك فقد قال الشوكاني بعد ما ذكر أدلة المنع وأدلة الجواز وأقوال العلماء فيها، قال: "والحاصل أن الظاهر من الأدلة عدم جواز الاستعانة بمن كان مشركا مطلقا[6]، لما في قوله ﷺ: «إنا لا نستعين بالمشركين» من العموم، وكذلك قوله: «أنا لا أستعين بمشرك»، ولا يصلح مرسل الزهري لمعارضة ذلك لما تقدم من أن مراسيل الزهري ضعيفة، والمسند فيه الحسن بن عمارة وهو ضعيف، ويؤيد هذا قوله تعالى: **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾**، وقد أخرج الشيخان عن البراء رضي الله عنه قال: جاء رجل مقنع بالحديد، فقال يا رسول الله: أُقاتِل أو أُسلِم، قال ﷺ: «أسلِم ثم قاتِل»، فأسلم ثم قاتل، فقُتِل، فقال ﷺ: «عمل قليلا وأجر كثيرا»"[7].

خلاصة القول في هذه المسألة: أن حديث عائشة رضي الله عنها «لن أستعين بمشرك» نص عام في منع الاستعانة بالمشرك بأي كيفية في القتال أو في إعداد العدة أو غيره"[8].

فنخلص إلى أن القتال مع الذين يظهرون المكفرات والشركيات يدخل في أبواب موالاة المشركين، والاستعانة بهم، لا في أبواب القتال مع الأمير الفاجر، فالمقصود بالفاجر هنا من خدشت عدالته بارتكاب الكبائر أو الإصرار على صغائر أو غير ذلك فيما هو دون الشرك، بل وحتى دون أن يكون فجوره مضرا بالمسلمين، أما إذا ظهر منه الشرك فالواجب الخروج عليه ومنابذته بالسيف لا القتال معه والسمع والطاعة له، كما صح عن عبادة بن الصامت رضي الله

---

(1) ويظهر ذلك جليا في تعريف الفاجر الذي سبق ذكره في ما تقدم من كلام الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.

(2) وسيأتي تفصيل في الأمر في المسألة السادسة من هذا الفصل.

(3) حديث: ٤٢٠٣.

(4) فتح الباري: ج٧/ ص٤٧٢-٤٧٣.

(5) الباب الثالث: الإمارة/ شروط هذه الإمارة/ مسألة الاستعانة بالمشرك.

(6) وفي هذا الكلام منع الاستعانة بالمشركين على إطلاقه، أي فيما يشمل أخذ الدعم المادي والمالي منهم في الجهاد.

(7) نيل الأوطار: ج٨/ ص٤٥.

(8) الباب الثالث: الإمارة/ شروط هذه الإمارة/ مسألة الاستعانة بالمشرك.

عنه قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله قال: «إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان» متفق عليه، وكما فعل أبو بكر والصحابة مع مانعي الزكاة ممن كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، ولكنهم أظهروا الكفر وهو منع الزكاة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان وهؤلاء لم يكن لهم شبهة سائغة، فلهذا كانوا مرتدين وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب كما أمر الله. وقد حكي عنهم أنهم قالوا: إن الله أمر نبيه لأخذ الزكاة بقوله: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ وقد تسقط بموته"[1].

*****

المسألة السادسة: الرد على شبهة الاستدلال بحديث قتال الزبير مع النجاشي على جواز القتال تحت رايات تحمل الشرك.

وقد أورد كاتب شبهة أراد بها أن الزبير رضي الله قاتل مع النجاشي عندما كان النجاشي مشركا، وكمقدمة لاستنتاجه هذا ذكر قول محمد بن حسن الشيباني التالي:

"ثم ذكر حديث الزبير رضي الله عنه، حين كان النجاشي فنزل به عدوه فأبلى يومئذ مع النجاشي بلاء حسنا، فكان للزبير عند النجاشي بها منزلة حسنة، فبظاهر هذا الحديث يستدل من يجوّز قتال المسلمين مع المشركين تحت رايتهم، ولكن تأويل هذا من وجهين عندنا:

أحدهما: أن النجاشي كان مسلما يومئذ كما روي، فلهذا استحل الزبير القتال معه.

والثاني: أنه لم يكن للمسلمين يومئذ ملجأ غيره على ما روي عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها، قالت: "لما اطمأننا بأرض الحبشة فكنا في خير دار، عند خير جار، نعبد ربنا إلى أن سار إلى النجاشي عدو له، فما نزل بنا قط أمر عظيم منه، قلنا: إن ظهر على النجاشي لم يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف، فأخلصنا الدعاء إلى أن يمكن الله النجاشي، ثم قلنا: من رجل يعلم لنا علم القوم، فقال الزبير بن العوام: إنا ننفخ قربة ثم ركبها حتى عبر النهر، والتقى القوم، وحضر الزبير معهم، وجعلنا نخلص الدعاء إلى أن طلع الزبير في النيل يليح بثوبه، ألا أبشروا فإن الله تعالى قد أظهر النجاشي، ومكن له في الأرض، وأهلك عدوه، قالت: فأقمنا عند خير جار". فبهذا الحديث تبين صحة التأويل الذي قلنا، والله أعلم"[2].

وبعد سرده لقول الشيباني هذا قال الكاتب: "قلت: من هذا الشاهد وحديثه نستدل على أمور والله أعلم:-

١ – أن النجاشي كان كافرا ولم يسلم بعد، ولكن حتى ولو كان مسلما إذ ذاك على بعض الروايات فالثابت أن كل جيشه هو نصارى من أهل الصليب يعتقدون ربوبية عيسى وبنوته لله (تعالى الله عما يقولون)، كما جاء في المناظرة الواردة في سيرة بن هشام وغيرها من الآثار عن هجرة الحبشة.

٢ – أن المؤمنين وهم مستضعفون لا يقدرون على القتال ولا ينفعون به شاركوا ومعهم أم سلمة رضي الله عنها إلى جانب النجاشي بما يستطيعون وهو سلاح الدعاء.

٣ – أن الزبير كما في هذا الشاهد شارك في القتال بنفسه، وصار له منزلة بها عند النجاشي والتأويل الثاني لصاحب السير الكبير مهم لنا في الشاهد وهو قوله: "انه لم يكن للمسلمين يومئذ

---

(1) مجموع الفتاوى: ج٣/ ص٥٣٤.

(2) السير الكبير: ج٤/ ص١٤٢٢-١٤٢٤.

ملجأ غيره"، فهذا يعني أنهم دافعوا عن ملجأهم بالدعاء ومشاركة ابن الزبير لأن ظهور عدوه يفضي إلى هلاكهم والله أعلم" اهـ.

أقول – مستعينا بالله – أن الشبهة تتجلي في إيضاح أمرين: -

الأمر الأول: لم يثبت أن النجاشي رضي الله عنه كان كافرا يومئذ، بل الروايات تقول أن النجاشي كان مسلما يومئذ، وأن قومه تابعوه على إسلامه، وما دام لم يثبت كفر النجاشي يومئذ فلا يحتج بهذه الأقوال، وإليك ما أورده الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في "مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم" قال:

"فلما كان بعد بدر اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا: إن لنا في الذين عند النجاشي ثأرا، فاجمعوا مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده، ولينتدب في ذلك رجلان من أهل رأيكم، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد مع الهدية، فركبا البحر، فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا: قومنا لك ناصحون، وانهم بعثونا إليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك، لأنهم قوم رجل كذّاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله، ولم يتبعه إلا السفهاء، فضيّقنا عليهم وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد، فقتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمّه ليفسد عليك دينك وملكك، فاحذرهم وادفعهم إلينا لنكفيكهم. وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيّونك بالتحية التي كنت تحيّا بها، رغبة عن دينك. فلما دعاهم النجاشي وحضروا صاح جعفر بن أبي طالب بالباب: يستأذن عليك **حزب الله**. فقال النجاشي: مروا هذا الصائح فليُعد كلامه. ففعل، فقال: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته. **فدخلوا ولم يسجدوا له**[1]. قال: ما منعكم أن تسجدوا لي؟. قالوا: نسجد لله الذي خلقك وملكك، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبيا صادقا، وأمرنا بالتحية التي رضيها وهي السلام تحية أهل الجنة. فعرف النجاشي أن ذلك حق، وأنه في التوراة والإنجيل. فقال: أيكم الهاتف يستأذن؟. قال جعفر: أنا. قال: فتكلم. قال: إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي، فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما فتسمع كلامنا. فقال عمرو بن العاص لجعفر: تكلم. فقال جعفر للنجاشي: سله أعبيد نحن أم أحرار؟. فإن كنا عبيدا قد أبقنا من موالينا فارددنا إليهم. فقال عمرو: بل أحرار كرام. فقال: هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا؟. قال: لا ولا قطرة. قال: فهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟. قال عمرو: ولا قيراط. قال النجاشي: فما تطلبون منهم؟. قال: كنا وهم على دين واحد، على دين آبائنا، فتركوا ذلك واتبعوا غيره. فقال النجاشي لجعفر: ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتموه؟ واصدقني. فقال جعفر: أما الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة، وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام، جاءنا به من الله رسول، وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له. فقال النجاشي: تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك. فاجتمع عليه كل قسيس وراهب، فقال: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا؟. قالوا: اللهم نعم، قد بشّرنا به عيسى وقال: من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي. فقال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وماذا يأمركم به وماذا ينهاكم عنه؟. قال: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف، وينهانا عن المنكر، ويأمرنا بحسن الجوار، وصلة الرحم، وبرّ اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له. فقال: اقرأ ما يُقرأ عليكم. فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم، ففاضت عين النجاشي وأصحابه من الدمع. فقال: زدنا من هذا الحديث الطيّب. فقرأ عليه سورة الكهف، فأراد عمرو أن يُغضب النجاشي فقال: إنهم يسبّون عيسى وأمه.

---

(1) السجود عبادة والقتال عبادة في دين الله لا يصرفان لغير الله، فانظر أخي الكريم كيف أن الصحابة رضوان الله عليهم لا يرتكبون الشرك خوفا على أنفسهم من الضرر بالوقوع في أيدي كفار قريش، فكيف يبذلون أرواحهم في القتال تحت راية شرك خوفا على أنفسهم من الوقوع في أيدي كافرين، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

فقرأ عليهم سورة مريم، فلما أتى على ذكر عيسى وأمه رفع النجاشي نفاثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال: والله ما زاد المسيح على ما يقول هؤلاء نقدا.

قال ابن إسحاق: فلما قال ذلك تناخرت بطارقته. فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي. والسيوم: الآمنون. من سبكم غرم، فلا هوادة اليوم على **حزب إبراهيم**، ما أحب أن لي دبرا من ذهب وإني آذيت رجلا منكم. والدبر بلسان الحبشة: الجبل، ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي فيها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. فخرجا مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وفيهم نزلت: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع﴾ الآيات، قال قتادة وغير واحد. وقيل بعثت قريش في شأنهم إلى النجاشي مرتين: الأولى عند هجرتهم والثانية عقب وقعة بدر، وكان عمرو بن العاص رسولا في المرتين، ومعه في إحداهما عمارة بن الوليد، وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّان.

فصل: الكتاب النبوي إلى النجاشي وإسلامه:

فلما كان في ربيع الأول سنة سبع من الهجرة كتب رسول الله كتابا إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وبعث به مع عمرو بن أمية الضميري. فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وقال: لو قدرت أن آتيه لأتيته. وكتب إليه أن يزوّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصرّ هناك ومات، فزوّجه إياها، وأصدقها عنه أربعمائة دينار. وكان الذي تولى تزويجها خالد بن سعيد بن العاص، وكتب إليه أن يبعث إليه من بقي من أصحابه ويحملهم ففعل، وحملهم في سفينتين مع عمرو بن أمية، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، فخرج إلى المصلى فكبّر أربع تكبيرات وقال: استغفروا لأخيكم. قال السهيلي: وكان موت النجاشي في رجب سنة تسع، ولما صلى عليهم رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه بالمدينة. وتكلم المنافقون وقالوا: يصلي على علج مات بأرض الحبشة. قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: لما مات النجاشي كان يتحدّث أنه لا يزال على قبره نور. وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك فارقت ديننا وخرجوا عليه، فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج إلى الحبشة. وصفوا له فقال: يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى. قال: وكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة. قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد. قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول هو ابن الله. فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه: هو يشهد أن عيسى ابن مريم. لم يزد على هذا شيئا، وإنما يعني ما كتب. فرضوا وانصرفوا. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له" اهـ[1].

وقد أورد ابن القيم رحمه الله حوارا - لعمرو بن العاص رضي الله عنه مع عبد ابن الجلندي يدل على أن النجاشي كان قد أسلم آن ذاك وتابعه عليه قومه - ورد فيه: "قال عمرو بن العاص: فسألني أين كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال: وكيف صنع قومه بملكه. فقلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟!. قلت: نعم. قال: انظر يا

(1) مختصر سيرة الرسول: ص١٠٣-١٠٦.

عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت، وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت: بلى. قال: فبأي شيء علمت ذلك؟. قلت: كان النجاشي يخرج له خرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين بدين غيرك دينا محدثا؟. قال هرقل: رجل رغب في دين، فاختاره لنفسه، ما أصنع به؟!، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع"[1].

الأمر الثاني: أنه ليس في الرواية التي أوردها الشيباني نص صريح في اشتراك الزبير في ذلك القتال، فلقاء القوم قد يُقصد به الالتقاء مع جيش النجاشي لمعرفة خبر المعركة، وعلى العكس ففي الرواية التي أوردها عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أن النجاشي أسلم ورغم ذلك جنب المسلمين القتال.

فهيهات أن يناطح بمثل هذا النص أمثال الجبال الراسيات من آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تحرم موالاة الكفار ونصرتهم، وتُبين أن من فعل هذا فهو منهم، وتوجب معاداتهم ومحاربتهم.

وقد كفر ابن تيمية من توهم أن أحدا من الصحابة قاتل مع الكفار فقال رحمه الله: "والمرتد من أشرك بالله تعالى، أو كان مبغضا للرسول صلى الله عليه وسلم، ولما جاء به، أو ترك إنكار منكر بقلبه، **أو توهم أن أحدا من الصحابة أو التابعين أو تابعيهم قاتل مع الكفار، أو أجاز ذلك**، أو أنكر مجمعا عليه إجماعا قطعيا، أو جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم"[2].

وفضلا على أنه لا يجوز القتال مع المشركين، فإنه لا يجوز الاستعانة بهم[3] في القتال:[4]

قال ابن تيمية: "ولا يستعان بأهل الذمة في عمالة ولا كتابة لأنه يلزم منه مفاسد أو يفضي إليها، وسئل أحمد "في رواية أبي طالب" عن الاستعانة بهم في مثل الخراج؟ فقال: لا يُستعان بهم في شيء. ومن تولى منهم ديوانا للمسلمين ينقض عهده، ومن ظهر منه أذى للمسلمين أو سعى في فساد لم يجز استعماله"[5].

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن: "وما ذكرت من استعانته بابن أريقط فهذا اللفظ ظاهر في مشاقة قوله صلى الله عليه وسلم – في حديث عائشة رضي الله عنها –: «إنا لا نستعين بمشرك»، وابن أريقط أجير مستخدم لا مُعين مكرم، وكذلك قولك إن شيخ الإسلام ابن تيمية استعان بأهل مصر والشام وهم حينئذ كفار وهلة عظيمة وزلة ذميمة، كيف والإسلام إذ ذاك يعلو أمره ويقدم أهله ويُهدم ما حدث من أماكن الضلال وأوثان الجاهلية، ويظهر التوحيد ويقرر في المساجد، وشيخ الإسلام نفسه يسميها بلاد الإسلام ويستنصر بهم على التتر والنصيرية ونحوهم"[6].

---

(1) زاد المعاد: ج٣/ ص٦٢-٦٣.

(2) الاختيارات الفقهية: باب حكم المرتد: ص ٥٢٧.

(3) انظر فصل الاستعانة بالمشركين من "كتاب العمدة في إعداد العدة" للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.

(4) بعضهم حرم الاستعانة بالمشركين على آل سعود حين غزاهم صدام، ولكنه عند مصلحته أجاز ما هو أشد من ذلك، ألا وهو القتال تحت راية الكفار في دفع الصائل، فأين كان هذا الفقه سابقا؟، ألم يكن صدام صائلا؟!!، أم أنه حرام على آل سعود حلال لهم؟!.

(5) الاختيارات الفقهية: ٥٣٥-٥٣٦.

(6) الدرر السنية: ج٨/ ص٣٦٦-٣٦٧.

وفي نص رسالة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل شيخ قال: "وما كتبت في هذه المحنة من الشبه فقد عرفت أن الفتنة بالمشركين فتنة عظيمة وداهية عمياء ذميمة، لا تبقي من الإسلام ولا تذر، لا سيما في هذا الزمان الذي فشا فيه الجهل وقُبض فيه العلم، وتوفرت أسباب الفتن وغلب الهوى وانطمست أعلام السنن و﴿ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا﴾[1]، وعند ذلك ﴿ يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويُضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[2]، وبلغني عن الشيخ حمد أنه أنكر واشتد نكيره ورأيت له خطًا أرسله إلى بعض الإخوان بأن ما كتبه ابن عجلان ردة صريحة.

وبلغني أن بعضهم دخل من هذا الباب واعترض على ابن عتيق وصرح بجهله ونال من عرضه وتعاظم هذه العبارة وزعم أنه غلا وتجاوز الحد، فحصل بذلك تنفيس لأهل الجفاء وعبّاد الهوى، والرجل وإن صدر منه بعض الخطأ في التعبير فلا ينبغي معارضة من انتصر لله وكتابه وذب عن دينه وأغلظ في أمر الشرك والمشركين على من تهاون أو رخّص وأباح بعض شعبه، وفتح باب ذرائعه القريبة المفضية إلى ظهوره وعلوه، ورفض التوحيد ونكس أعلامه ومحا آثاره وقلع أصوله وفروعه ومسبة من جاء به لقولة رآها وعبارة نقلها وما دراها، من إباحة الاستعانة بالمشركين[3] مع الغفلة والذهول عن صورة الأمر والحقيقة وأنه أعظم وأطم من مسألة الاستعانة والانتصار.

بل هو تولية وتخلية بينهم وبين أهل الإسلام والتوحيد، وقلع قواعده وأصوله وسفك دماء أهله واستباحة حرماتهم، وأموالهم وهذا هو حقيقة الجاري والواقع، وبذلك ظهر في تلك البلاد من الشرك الصريح والكفر البواح ما لا يبقي من الإسلام رسما يرجع إليه، ويعول في النجاة عليه، كيف وقد هدّمت قواعد التوحيد والإيمان، وعطلت أحكام السنة والقرآن، وصرح بمسبة السابقين والأولين من أهل بدر وبيعة الرضوان، وظهر الشرك والرفض جهرا في تلك الأماكن والبلدان.

ومن قصر الواقع على الاستعانة بهم فما فهم القضية وما عرف المصيبة والرزية، فيجب حماية عرض من قام لله، وسعى في نصر دينه الذي شرعه وارتضاه.

ثم إن القول قد يكون ردة وكفرا، ويُطلق عليه ذلك وإن كان ثمة مانعا من إطلاقه على القائل، وصريح عبارة الشيخ حمد التي رأينا ليست بالاستعانة خاصة بل في تسليم بلاد المسلمين إلى المشركين، ومن المعلوم أن من تصور هذا الواقع، ورضي به وصوّب فاعله وذب عنه وقال بحله، فهو من أبعد الناس عن الإسلام والإيمان.

وأكثرهم يرى السكوت عن كشف اللبس في هذه المسألة التي اغتر بها الجاهلون[4]، وضل بها الأكثرون، وطريقة الكتاب والسنة وعلماء الأمة تخالف ما استحله هذا الصنف من السكوت والإعراض في هذه الفتنة العظيمة، وإعمال ألسنتهم في الاعتراض على من غار لله ولكتابه ولدينه[5]، فليكن لك يا أخي طريقة شرعية وسيرة مرضية في رد ما ورد من الشبه وكشف اللبس

---

(1) سورة الأحزاب: ١١.

(2) سورة إبراهيم: ٢٧.

(3) المقصود هنا بالمشركين هم عساكر الدولة العثمانية، إذ أن الشيخ كان يرى أن الدولة العثمانية قد كفرت لإدخالها القوانين الوضعية وبالسماح لسفارات الدول الكافرة برفع أعلامها فوق أرض البلاد، وبتشجيع الصوفية والخرافات والبدع فأفتى بعدم جواز الاستعانة بمثل هذه الدول (نقلا عن مجلة الجماعة بتصرف، العدد الأول، ص٦٤).

(4) الجهل: إما خلو من العلم أو اعتقاد باطل أو عمل فاسد، ومن هذه المعاني أخذ معنى جهل، أي حمق، وجفا وغلظ، وأما قوله تعالى: "إني أعظك أن تكون من الجاهلين". انظر لسان العرب: ج١١/ ص١٣٠.

(5) وهذا ديدن أهل الضلال عبر التاريخ، إذ تراهم يسوقون آلاف المبررات لأهل الزيغ والضلال، ويجوزون مناصرتهم والسكوت على تجاوزاتهم للشرع، فهم معهم جهمية، وخوارج مع أهل التوحيد والحق، ينكرون عليهم إنكارهم للباطل ومحاربتهم له، وإذا ما صدر من الموحدين خطأ غير مقصود صادر عن غير قصد، رأيتهم أشعلوا عليهم نيران

والتحذير من فتنة العساكر، والنصح لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم، وهذا لا يحصل مع السكوت وتسليك الحال على أي حال.

فاغتنم الفرصة وأكثر من القول في ذلك، واغتنم أيام حياتك فعسى أن يحشرنا وإياك في زمرة عساكر السنة والقرآن، والسابقين الأولين من أهل الصدق والإيمان.

والشبهة التي تمسك بها من قال بجواز الاستعانة هي ما ذكره بعض الفقهاء من جواز الاستعانة بالمشرك عند الضرورة، وهو قول ضعيف مردود مبني على آثار مرسلة تردها النصوص القرآنية والأحاديث الصحيحة الصريحة النبوية، ثم القول بها على ضعفه مشروط بشروط نبه عليها شراح الحديث، ونقل الشوكاني منها طرفا في شرح المنتقى، ومنها الضرورة وأمن المفسدة وأن لا يكون لهم شوكة وصولة وأن لا يدخلوا في الرأي والمشورة، ففرضها في الانتصار بالمشرك على المشرك، أما الانتصار بالمشرك على الباغي عند الضرورة فهو قول فاسد لا أثر فيه ولا دليل عليه، وغلط من غلط في معرفة الضرورة فظنها عائدة إلى مصلحة ولي الأمر، في رياسته وسلطانه، وليس الأمر كما زعم ظنه، بل هي ضرورة الدين وحاجته إلى ما يُعين عليه وتحصل به مصلحته كما صرّح به من قال بالجواز"[١].

وقال أيضا: "بل بلغني أن بعض من يدعي طلب العلم يحتج بقول شاذ مطرح، وهو أن لولي الأمر أن يستعين بالمشرك عند الحاجة، ولم يدر هذا القائل أن هذا القول يحتج قائله بمرسل ضعيف. مدفوع بالأحاديث المرفوعة الصحيحة، وأن قائله اشترط أن لا يكون للمشركين رأي في أمر المسلمين ولا سلطان، لقول الله تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾[٢]، فكيف بما هو أعظم من ذلك وأطم، من الانسلاخ الكلي والخدمة الظاهرة لأهل الشرك، إذا عرفت هذا عرفت شيئا من جناية الفتن، وأن منها قلع قواعد الإسلام، ومحو أثره بالكلية، وعرفت حينئذ أن هذه الفتنة من أعظم ما طرق أهل نجد في الإسلام"[٣].

السنتهم، وقذفوهم بالغلو والتكفير وغيره، ولم يلتمسوا لهم مثل تلك المبررات التي التمسوها لأهل الزيغ والضلال والشرك، وحرموا مناصرتهم (أي الموحدين) والقتال معهم، بل وحتى مجالستهم، فالله المستعان.

(1) الدرر السنية: ج٨/ ص٣٧٠-٣٧٤. وانظر أيضا: ج٨/ ص٣٦٦-٣٦٨.

(2) سورة النساء: ١٤١.

(3) الدرر السنية: ج٨/ ص٣٩١-٣٩٤.

الفصل الخامس:

رد شبهة إطلاق العذر بالجهل في دار الإسلام

يقول البعض بإطلاق العذر بالجهل فيما يظنه دار إسلام، وقد كان العلماء على عكس هذا، فهم يقولون بعدم العذر بالجهل في دار الإسلام وذلك لأنها مظنة العلم.

فمن فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالجزيرة[1]: ''الجواب: لا يُعذر المكلف بعبادة غير الله أو تقرّبه بالذبح لغير الله أو النذر لغير الله ونحو ذلك من العبادات التي هي من اختصاص الله إلا إذا كان في بلاد غير إسلامية ولم تبلغه الدعوة فيُعذر لعدم البلاغ لا لمجرد الجهل، لما رواه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه – أنه صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»، فلم يعذر النبي صلى الله عليه وسلم من سمع به ومن يعيش في بلاد إسلامية قد سمع بالرسول صلى الله عليه وسلم فلا يعذر في أصول الإيمان بجهله.

أما الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم ذات أنواط يعلقون بها أسلحتهم فهؤلاء كانوا حديثي عهد بكفر، وقد طلبوا فقط ولم يفعلوا[2]، فكان ما حصل منهم مخالفا للشرع، وقد أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يدل على أنهم لو فعلوا ما طلبوا كفروا. وبالله التوفيق''[3].

وقال ابن باز أيضا: ''والحاصل أن من أظهر الكفر في ديار الإسلام حكمه حكم الكفرة''[4].

وقال عبد الكريم زيدان: ''المراد بالعلم، علم المكلف فعلا أو إمكان علمه: بأن يكون قادرا بنفسه أو بالواسطة على معرفة ما كُلف به، بأن يسأل أهل العلم عما كلف به. والقرينة على إمكان علمه: وجوده في دار الإسلام، لأن هذه الدار دار علم بالأحكام لشيوعها فيها، والشيوع قرينة العلم، ولهذا قال الفقهاء: العلم مفترض في من هو في دار الإسلام.

وقاعدة: (لا خلاف الدفع بالجهل بالأحكام في دار الإسلام) مبنية على ما ذكرناه، وهذا خلاف ما هو المقرر بالنسبة إلى دار الحرب (أي دار غير الإسلام)، إذ العلم بالأحكام الشرعية غير مفترض بالنسبة لمن فيها، لعدم شيوع الأحكام الشرعية فيها''[5].

وقال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز: ''(أ) أنه لا عذر بالجهل للمقيم في دار الإسلام: ويعللون ذلك بأنها مظنة لانتشار العلم، وأن المكلف يتمكن من طلب علم ما يجب عليه فيها. – إلى أن قال – ومع ذلك يستثني العلماء أحوالا يعذرون فيها بالجهل في دار الإسلام، وهو حديثُ العهدِ بالإسلام، ومن نشأ في بادية أو في شاهق جبل لا يخالط المسلمين. والضابط الذي يحكم كل هذه الصور والاستثناءات هو التمكن من العلم أو عدمه. فليست العبرة بمجرد الإقامة بدار الإسلام أو دار الحرب، ولكن لأن الأولى مظنة العلم، والثانية مظنة الجهل''[6].

---

(1) فتوى رقم: ٩٢٥٧.

(2) في الحقيقة أن مجرد الطلب شرك، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم للطالبين: "قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها)" وهذا هو الشرك. انظر الجامع في طلب العلم الشريف: ج١/ص٣٦٠.

(3) عبد الله بن قعود، وعبدالله بن غديان، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد العزيز بن باز، فتاوى اللجنة الدائمة: ٣٣/٢-٣٤، ط دار العاصمة ١٤١١هـ.

(4) كتاب "فتاوى وتنبيهات" لابن باز: ص٢١٣. طبعة مكتبة السنة، ١٤٠٩هـ.

(5) الوجيز في أصول الفقه: ص ٧٦.

(6) الجامع في طلب العلم الشريف: ج١/ ص٣٩٤.

الفصل السادس:

حكم دخول الأمم المتحدة وتحكيمها في سياسات الدولة الداخلية والخارجية

وبعض الأنظمة اليوم تمارس سياسة التلبيس على العباد والاستخفاف بهم واللعب بعقولهم مدعية تطبيق الشريعة الإسلامية ونبذ القوانين الوضعية... وقد أجادت هذه الدول أساليب التلبيس والتدليس وأحكمتها حتى انطلى هذا على كثير ممن ينتسبون للعلم والدعوة، فشاركوا في التلبيس والترقيع لها، فتجد كثيرا منهم يتكلمون في الدول الأخرى وطغيانها ويهاجمون تحاكمها للقوانين الوضعية ويُصدرون الكتب والمؤلفات في هذا الكفر والشرك المستبين، بل بلغ الأمر من بعض المنتسبين للجهاد أن ينهى عن الكلام ضدها بحجة التباس أمرها، وعدم اتضاحه...

إن عشت سوف ترى منها عجائبها ... إن كان قلبك حيا غير مفتون
فمن يمت قلبه لا يهتدي أبدا ... ولو جئته بصحيحات البراهين

وتتنوع صور الطواغيت... وتختلف أشكالها في كل زمان... ويبقى مطلب التوحيد واحداً ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾

﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾

قال ابن القيم رحمه الله: "الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إلى غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه في ما لا يعلمون أنه طاعة الله. فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم إلى طاعة الطاغوت ومتابعته"[1].

ونحن مطالبون لأجل تحقيق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد أن نكفر بكل الطواغيت ونتبرأ منها جميعا على اختلاف صورها، سواء طواغيت القبور أم القصور والدستور، طواغيت الحجر والشجر أم طواغيت البشر ﴿ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا﴾، وقد قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في أمثالهم ممن يدافعون عن الطواغيت ويرقعون لهم ويلبسون أمرهم على الناس: "وكذلك نكفر من حسن الشرك للناس، وأقام الشبهة الباطلة على إباحته"[2].

لم تعد العلاقات سرا، بل علانية، وراية الصليب ترفرف في شوارع مدنهم وغيرها إلى جنب رايتهم!!.

وتراعي تلك الأنظمة قواعد القانون والعرف الدولي فيما يتعلق برفع العلم الأجنبي على المباني الخاصة بالممثليات السياسية والقنصلية للدول الأجنبية في أراضيها، وكذلك الأمم المتحدة والهيئات الدولية والإقليمية أو رفعه على السيارات الخاصة بموظفيها.

---

(1) نقله الشيخ سليمان النجدي في "تيسير العزيز الحميد": ص٥٠.

(2) من "الرسائل الشخصية": ص٦٠.

ومن هذه الأنظمة والطواغيت الدولية العالمية:

١ ـ محكمة العدل الدولية:

محكمة "الكفر" الدولية تلك المحكمة التي مقرها مدينة لاهاي بهولندا والتي تطبق قواعد وأحكام القانون الدولي في حل النزاعات الدولية، عن طريق التسوية القضائية، ومن المعلوم طبعا أن تلك الأنظمة أعضاء في هيئة الأمم المتحدة...

وهذا الكلام وما يتعلق به مما سيأتي ليس خاصا بأنظمة دون غيرها، بل هو يتنزل على كل من تحاكم راغبا مختارا إلى هذه المحكمة وقوانينها وعلى كل من رد إليها عند التنازع، ورضي بأحكامها... أو دخل في دين هيئة الأمم المتحدة وميثاقها، فحكمه حكمها، سواء كانت دولة أو دويلة أو حزبا أو حكومة ائتلافية أو نحو ذلك...

نقول هذا تحذيرا وتنبيها لكثير ممن ينتسبون للجهاد وأهله... ثم هم يتباكون على عتبات هيئة الأمم ومقاعدها ومحكمتها... ومؤتمرات الطواغيت العرب وغيرهم... لعلهم ينتهون!!!.

من المسلمات التي لا يجادل فيها عاقل أن القوانين التي تعتمدها هيئة الأمم المتحدة وتتحاكم إليها ليست هي (الشريعة الإسلامية) التي تتمسح بها هذه الأنظمة الملبسة، وتتخذها ستارا تضحك به على عميان البصائر وليراجعوا معه قوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...﴾، ولو كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر حقا لما آمنوا بهذا الطاغوت الدولي العام ولما اتخذوا عبيده أولياء.

٢ ـ هيئة الأمم المتحدة:

هيئة الأمم المتحدة منظمة عالمية خاضعة للنفوذ اليهودي ومن يراجع أقسامها وإدارتها وأسماء القائمين عليها يعرف هذا معرفة اليقين... فهي التي أشرفت على تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م. وهي هي المنظمة الدولية التي تحفظ وترعى مصالح الدول الكبرى بحق الفيتو الذي منحته وقررته لها... وطعنها وطعن إدارتها ومنظماتها المختلفة في دين الإسلام وشرائع القرآن بيّن واضح مكشوف، فيما يأتي أمثلة منه... واسمها "الأمم المتحدة" من أعظم الأدلة على اتحاد وتناصر وتعاضد وتعاون المائة والتسعة وخمسين دولة المشتركة فيها!!. فكل دولة تشترك فيها فهي متحدة مع أمم الكفر الأخرى على اختلاف مللها ونحلها...

"ولأجل الاحتفاظ بالقوة يضع المنتصرون أسسا لسياسة العالم بما يحقق مصالحهم، فبعد الحرب العالمية الأولى أنشأ المنتصرون عصبة الأمم عام ١٩٢٠م كناد لهم يفرضون من خلاله سياستهم على العالم، ثم أنشئوا "هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م بعد الحرب العالمية الثانية ليتخذ المنتصرون ما يشاءون من قرارات باسم المنظمة الدولية أي باسم العالم كله"[1].

٤ ـ ميثاق الأمم المتحدة:

قبل أن نشرع في بيان أمثلة كفرية من هذا الميثاق... ينبغي أن تعرف أخي الموحد أن "ميثاق الأمم المتحدة" عبارة عن قانون وضعته الأمم المتحدة ليؤمن به ويدين له ويتحاكم إليه كل من كان عضواً في هذه المنظمة الدولية الخبيثة... ويتكون من مائة وأحد عشر مادة... وفي هذا الميثاق من الالتزامات والتعهدات والتشريعات الباطلة المضادة والمناقضة للشريعة الإسلامية ـ التي تتمسح بها تلك الأنظمة ـ ما لا نستطيع حصره في هذه الورقات... ومن المعلوم أنه لا تنضم أي دولة للأمم المتحدة إلا إذا قبلت هذه التعهدات والالتزامات التي نص عليها الميثاق كاملا.

---

[1] الجامع في طلب العلم الشريف: ج٢/ ص٩٧٧-٩٧٨.

وزيادة في تأكيد ذلك، اعلم أن إجراءات الانضمام للأمم المتحدة تتلخص في أن تقدم الدولة التي ترغب في الانضمام للأمم المتحدة طلبا بذلك إلى الأمين العام للمنظمة الدولية ويكون ذلك الطلب مصحوبا بإعلان قبول الالتزام بميثاق الأمم المتحدة(١)...

وكذلك الأمر بالنسبة للفصل من الأمم المتحدة فإن المادة السادسة من الميثاق تنص على أنه يجوز للجمعية العامة أن تفصل عضوا من الأعضاء إذا أمعن في انتهاك مبادئ الميثاق... فمن هاتين الإشارتين يتبين لنا أن كل دولة تنضم أو تطلب الانضمام للأمم المتحدة فهي مستسلمة ولا بد لميثاقها، مؤمنة بقوانينه، ملتزمة منقادة للتعهدات الواردة فيه... ما دامت لم تعلن البراءة منها والكفر بميثاقها.

وهذه أمثلة من مواد وقوانين ميثاق الأمم المتحدة:

المادة الأولى: "أغراض الأمم المتحدة ومبادئها هي:

١ ــ المحافظة على السلم والأمن الدوليين... - إلى قولهم -: للقضاء على الأعمال العدوانية أو غيرها من أعمال تخل بالسلام أو تُحل بالوسائل السلمية وطبقا لمبادئ العدالة والقانون الدولي، المنازعات الدولية أو الخلافات التي تؤدي إلى الإخلال بالسلم.

٢ ــ تنمية العلاقات الودية بين الأمم.

٣ ــ تحقيق التعاون الدولي لحل المشكلات العالمية والاجتماعية والثقافية والإنسانية والعمل على زيادة احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية بدون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين، ولا تفريق بين الرجال والنساء"

المادة الثانية: "تعمل الهيئة وأعضاؤها في سعيها وراء تحقيق الأهداف المذكورة في المادة الأولى، وفقا للمبادئ الآتية:

١ ــ تقوم الهيئة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع أعضائها(٢).

٢ ــ القيام بالالتزامات التي أخذوها على أنفسهم بهذا الميثاق.

٣ ــ فض جميع المنازعات الدولية بالوسائل السلمية على وجه لا يجعل السلم والأمن والعدل الدولي عرضة للخطر.

٤ ــ يمتنع جميع الأعضاء في علاقاتهم الدولية عن استعمال القوة ضد سلامة الأراضي أو الاستقلال السياسي لأية دولة أو على أي وجه آخر لا يتفق وأهداف الأمم المتحدة(٣).

٥ ــ يقدم جميع الأعضاء كل ما في وسعهم من عون إلى الأمم المتحدة في أي عمل تتخذه وفق هذا الميثاق كما يمتنعون عن مساعدة أية دولة تتخذ الأمم المتحدة إزاءها عملا من أعمال المنع أو القمع..."

---

(1) كثيرا ما كان عبد العزيز (ملك من ملوك الدولة السعودية) يتلقى الدعوة لشغل مقعد في عصبة الأمم ولكن كان يرفض لأن بانضمامه إلى عصبة الأمم فسوف يكون مضطرا للتوقيع على ميثاقها، وهنا يتبين أيضا أن الدول التي قدمت طلبا للانضمام إلى الأمم المتحدة ولم تقبل طلبها لها نفس الحكم، فهي قد أقرت بالميثاق ووقعت عليه، وقد رشحت حركة طالبان منذ فترة طويلة عبد الحكيم مجاهد كي يمثل أفغانستان في الأمم المتحدة، وقدمت طلبا لعضويتها.

(2) تأمل: يرضون بمساواتهم في هذه التشريعات بعباد الصليب وعباد بوذا وعباد البقر والحجر وغيرهم ثم يزعمون تطبيق الإسلام.

(3) يشرعون هذا ويوقعون عليه ويتعهدون به ثم يقولون - ويظن الغافلون معهم - أن الأنظمة العربية كانت خائنة وحدها لأنهم عقدوا اتفاقية سلام وتطبيع مع العدو الصهيوني!!. وهل إسرائيل إلا عضوا من أعضاء الأمم المتحدة هذه، فكل من أقر ميثاق الأمم المتحدة وانضم أو طلب أن ينضم لها فقد دخل في سلام مع إسرائيل وغيرها من الأنظمة الكافرة والمرتدة، وأقر لتلك الأنظمة بالسيادة على بلدانها، وأنكر وحرم الجهاد ضدها.

إلى آخر ذلك، بل نصت المادة الثالثة والأربعون على أن "يتعهد جميع أعضاء الأمم المتحدة في المساهمة في حفظ السلم العالمي والأمن الدولي وأن يضعوا تحت تصرف مجلس الأمن ما يلزم من القوات المسلحة والمساعدات والتسهيلات الضرورية لحفظ السلم والأمن الدوليين، ومن ذلك حق المرور.

المادة العاشرة: التعهد باحترام الاستقلال السياسي والسيادة الإقليمية لكل دولة.

(المادة ٥٥): فإنه رغبة في تهيئة سبل الاستقرار والرفاهية اللازمة لقيام علاقات سلمية ودية بين الأمم، علاقات تقوم على احترام المبدأ الذي يقر بحقوق الشعوب على السواء، وبحقها في تقرير مصيرها تعمل الأمم المتحدة على ... أن تنشر في العالم أجمع احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة بلا تمييز حسب الجنس أو اللغة أو الدين وبلا تفرقة بين الرجال والنساء...

والآن... وبعد هذا كله...

ماذا يقول السادة العلماء! والمشايخ الأفاضل! في هذا الكفر البواح؟[(١)].

تشريع مع الله ما لم يأذن به الله!... وبماذا؟!!

- حقوق مساوية بين الرجال والنساء بدون تمييز....
- واحترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات والقوانين الدولية...
- والرضى والتسليم لتشريعات تقتضي المساواة والعيش بسلام مع الكفار على اختلاف دولهم وحكوماتهم ومللهم النصرانية والبوذية واليهودية والشيوعية والمجوسية والوثنية والهندوسية وغير ذلك...
- وارتضاء وابتغاء دين الميثاق وقانونه وبنوده الكفرية[(٢)]...
- وعدم التمييز في الحقوق بسبب الدين!..
- واحترام سيادة وسياسة كل دولة من دول العالم الطاغوتية.
- والامتناع عن جهاد الكفار والمشركين على اختلاف مللهم وتحريم أي صورة من صور جهادهم وقتالهم...
- الالتزام بمعاونة ومناصرة ومظاهرة هذه الهيئة الكافرة وهذا الطاغوت الدولي على أية دولة تتخذ هيئة الأمم قرارا بقمعها ولو كانت دولة الخلافة...بكافة أشكال المساعدة بالقوات المسلحة وغيرها (أي بالنفس والمال).

ويجب أن يُعلم مع هذا أن هذه التشريعات وهيئتها، كما أنها لها عند هؤلاء الطواغيت الأهلية والشرعية! القانونية! دوليا وخارجيا، فهي كذلك على المستوى الداخلي في كل دولة، ما دامت عضوا في هيئة الأمم... كما جاء في المادة (١٠٤) من الميثاق: "تتمتع الهيئة في بلاد كل عضو من أعضائها بالأهلية القانونية التي يتطلبها قيامها بأعباء وظائفها وتحقيق أهدافها..." والمادة (١٠٣) نصت على أنه: "إذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء "الأمم المتحدة" وفقا

---

(1) نكرر للتنبيه والتذكير: أن هذا الكلام كله ليس وقفا على فئة بعينها، بل هو يشمل كل جهة تعلن تأييدها للميثاق وكل دولة أو حكومة تنضم لهيئة الأمم المتحدة، أو تطلب الانضمام لها، مهما كان اسمها أو وصفها أو ادعاؤها ما دامت أقرت أو دخلت في دين هذا الطاغوت الدولي ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب، من يعمل سوءا يُجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾، نؤكد على هذا ليزداد الشباب بصيرة، ولكي لا ينخدعوا بكل ناعق وزاعق يزعم تطبيق الشريعة، وليعلموا أن دولة الخلافة المنشودة، دولة غالية وطريقها لا يمر بالأمم المتحدة والمنظمات الدولية، ولا تأتي بمداهنين متلونين، بل بالمجاهدين المخلصين المتابعين لشريعة ربهم، فبمثل هؤلاء وعلى دمائهم وأشلائهم تقوم.

(2) قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾.

لأحكام هذا الميثاق مع أي التزام دولي آخر يرتبطون به فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق[1]".

والآن سؤال: ما يقول السادة العلماء! فيمن يدعي معرفة الهدى والتوحيد، بل والدعوة إليه ثم يتبع ويطيع تشريع الكفار في هذا كله؟...

جواب: يجيبنا على هذا السؤال الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه القيم "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم﴾ قال: "اعلم أن كل مسلم يجب عليه في هذا الزمان تأمل هذه الآيات من سورة محمد وتدبرها، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد لأن كثيرا ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد، لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزّل الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهو هذا القرآن وما يبينه به النبي صلى الله عليه وسلم من السنة.

وكل من قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر فهو داخل في وعيد الآية، وأحرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في كل الأمر كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزّل الله فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن ﴿تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه وأنه محبط أعمالهم" اهـ.

أضف إلى ذلك الران الذي غلف قلوبهم وحجب عنها نور البصيرة لاعتيادهم وتكرارهم مخالطة الطغاة والظلمة والقبوريين والنكت المتتالية المتكررة بتلك الخلطة التي تجعل قلوبهم كالكوز مجخيا لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا إلا ما أشربت من هواها... وقد قيل أن "كثرة الإمساس تورث قلة الإحساس".

فالله الله في دينكم، لا تغتروا بكثرة الهلكة والمتساقطين ولا بعمائمهم وألقابهم من مجاهدين وغيره... نسأل الله السلامة والعافية وحسن الختام...

٥ ـ اللجنة الدولية للصليب الأحمر:

من المعروف أن ما يسمى بالصليب الأحمر الدولي ما هو إلا لجنة من اللجان المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة الملحدة هذه، ومعلوم ما لهذه اللجنة من نشاطات في السعي إلى تنصير المسلمين وتحويلهم من التوحيد إلى الشرك، فهي مؤسسة كافرة مشركة وأمرها ظاهر من اسمها، وسياستها في شتى بقاع العالم واضحة مكشوفة فما هو موقف تلك الأنظمة! يا ترى من هذه المنظمة الكافرة... هل تبرأ وتعاديها وتحاربها؟!، لأنها تعمل على رد المسلمين عن دينهم وتوحيدهم إلى الشرك... وقد أعطينا طالب الحق فيما تقدم طرفا كافيا من الخيط فبإمكانه إن أراد المزيد تتبعه واستقصاءه... والدال على الخير كفاعله...

هل نسيتم أن الناقض الثامن من نواقض الإسلام العشرة التي عددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو: "مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين..."؟!،

فما هو حكم تمكين هؤلاء من رفع أعلامهم في البلاد، ونشر دينهم بين العباد؟.

---

[1] يفهم من هذه المادة تقديم هذا الميثاق على أية عقود واتفاقيات دولية أخرى، أو أية التزامات أخرى تأخذها الدول على بعضها البعض أو تأخذها الدولة على نفسها ولو كان هذا الالتزام يتعلق بتطبيق قواعد دينها ومبادئها ودستورها، وفي هذا دحض لادعاءات بعض الأنظمة أنها ستلتزم بميثاق الأمم المتحدة دون أن تخل بالتزامها بشريعة الإسلام!!. وما هذا القول إلا استخفاف بعقول الناس، وتلبيس على البسطاء من المسلمين لتبرير هذه الجريمة العظيمة التي ترتكبها تلك الأنظمة.

قال ابن القيم رحمه الله: "وإظهار الصليب بمنزلة إظهار الأصنام فإنه معبود النصارى كما أن الأصنام معبود أربابها ومن أجل هذا يسمون عباد الصليب"[1].

وقال: " فصل قولهم ولا نخرج صليبا ولا كتابا في أسواق المسلمين

فيه زيادة على عدم إظهارهم ذلك على كنائسهم وفي صلواتهم فهم ممنوعون من إظهاره في أسواق المسلمين وإن لم يرفعوا أصواتهم به"[2].

وقال: "وإذا علم هذا فمن جاهرنا بسب الله ورسوله وإكراه حريمنا على الزنى وتحريق جوامعنا ودورنا ورفع الصليب فوق رؤوسنا فليس معه من الصغار شيء فيجب قتاله بنص الآية حتى يصير صاغرا.

فإن قيل فالمأمور به القتال إلى هذه الغاية فمن أين لكم قتل المقدور عليه فالجواب من وجوه:

أحدها: أن كل من أمرنا بقتاله من الكفار فإنه يقتل إذا قدرنا عليه.

الثاني: أنا إذا كنا مأمورين أن نقاتلهم إلى هذه الغاية لم يجز أن نعقد لهم عهد الذمة بدونها ولو عقد لهم كان عقدا فاسدا.

الثالث: أن الأصل إباحة دمائهم يمسك عصمتها الحبلان حبل من الله بالأمر بالكف عنهم وحبل من الناس بالعهد والعقد ولم يوجد واحد من الحبلين.

أما حبل الله سبحانه فإنه إنما اقتضى الأمر بالكف عنهم إذا كانوا صاغرين فمتى لم يوجد وصف الصغار المقتضي للكف منهم وعنهم فالقتل المقدور عليه منهم والقتال للطائفة الممتنعة واجب.

وأما حبل الناس فلم يعاهدهم الإمام والمسلمون إلا على الكف عما فيه إدخال ضرر على المسلمين وغضاضة في الإسلام فإذا لم يوجد فلا عهد لهم من الإمام ولا من الله وهذا ظاهر لا خفاء به"[3].

سئل الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عمن يرفع عَلم الدولة الكافرة في سفينة لئلا تهاجم سفينته أو تقطع طريقها فأجاب رحمه الله تعالى بقوله: "فإن هذا عَلم وعلامة على أنهم منقادون لأمرهم داخلون في حمايتهم وذلك موافقة لهم في الظاهر"[4] اهـ.

قال أبو محمد المقدسي: "لذا فنحن نعتقد أن تعليق هذه الشعارات وتلك الأعلام عن علم بما تعنيه وترمز إليه واختيار دون إكراه حقيقي أو تأويل سائغ ليس معصية فقط بل هو كفر ومروق يُصنف صاحبه ويضعه في صفوف الكفار والمشركين ويعامل في الدنيا عند مواجهة أولياء الرحمن لأولياء الشيطان بمعاملتهم.. لأنه علامة ظاهرة على الموالاة والتأييد والانقياد للطاغوت الياسق وحكومته، وإظهار للدخول في دين الحكومة.. ويشبه إلى حدّ ما تعليق الصليب ورفعه واتخاذه شعاراً وعلماً.. فما الصليب إلا رسم أو خشب أو حديد أو ذهب.. ولكن الكفر والباطل في ما يرمز إليه من معان الشرك والتنديد وكذلك العلم، فالصليب علامة وشعار مشركي النصارى والعلم شعار مشركي القوانين، وإن كانت دلالة الأعلام على الكفر ليست بصراحة دلالة الصليب عند النّاس"[5] [1].

---

(1) أحكام أهل الذمة: ج٣/ ص ١٢٤١.

(2) أحكام أهل الذمة: ج٣/ ص ١٢٤٢. قلت: فما بال النصارى المحاربين؟!.

(3) أحكام أهل الذمة: ج٣/ ص ١٣٧٨.

(4) من الدرر السنية: جزء المرتد: ص ١٤٥.

(5) من "كشف النقاب عن شريعة الغاب".

٦ ـ منظمة المؤتمر الإسلامي!![2]:

التي كان إنشاؤها إثر اجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية!! في جدة ١٥-١٧ محرم ١٣٩٠هـ الموافق لـ ٢٢/٢٦ مارس ١٩٧٠م بقرار من مؤتمر القمة الإسلامي!! الأول... من أهم أهدافها كما ورد في ميثاق تأسيسها:

١ ـ تعزيز التضامن بين الدول الأعضاء.

٢ ـ دعم التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وفي المجالات الحيوية الأخرى، والتشاور بين الدول الأعضاء في المنظمات الدولية...

٥ ـ إيجاد المناخ لتعزيز التعاون والتفاهم بين الدول الأعضاء والدول الأخرى.

أما المبادئ التي قامت عليها أهداف المنظمة كما في ميثاقها، فهي كما يلي:

١ ـ المساواة التامة بين الدول الأعضاء.

٢ ـ احترام حق تقرير المصير وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء.

٣ ـ احترام سيادة واستقلال ووحدة أراضي كل دولة عضو.

٤ ـ حل ما قد ينشأ من منازعات فيما بينها بحلول سلمية كالمفاوضة أو التوفيق أو التحكيم.

٥ ـ امتناع الدول الأعضاء في علاقاتها عن استخدام القوة أو التهديد باستعمالها، ضد وحدة وسلامة الأراضي، أو الاستقلال السياسي، لأية دولة عضو[3].

ولا يشك في كفر هذه المنظمة التي يشغل عضويتها أنظمة مرتدة ليست من الإسلام في شيء، وفي البنود التي ذكرناها أعلاه من ميثاق المنظمة ما يتضح به كفر هذه المنظمة، إذ أن هذه البنود تحرم الجهاد في سبيل الله ضد هذه الأنظمة المرتدة، وتقر بشرعيتها وسيادتها على دولها.

فما موقف هذه الأنظمة من هذه المنظمة؟! وما هي علاقتها بها[4]؟!.

خلاصة الأمر فيما تقدم، أن يعرف الموحد أن هذه الأنظمة التي تتمسح بالإسلام وشريعته... كاذبة في ذلك إذ هي قد خرجت من دين الإسلام ومن ملة التوحيد من أبواب شتى، من أهمها تشريع وتحكيم القوانين والتحاكم إليها على مستوى هيئة الأمم وميثاقها ومحكمتها الكفرية، ومن ذا الذي أكرههم أو أجبرهم على الدخول فيها... إذ ما زالت هناك دول حتى هذه الساعة ليست أعضاء في الأمم المتحدة[5].

---

(1) انظر عن حركة التنصير في مدارس ومساجد أفغانستان في مجلة الجماعة: عدد ٤: ص٥٥. وانظر نشاطات السفارات الغربية في نفس العدد: ص٤٨، وانظر نفس العدد: ص٥٣، ٥٤، وانظر أيضا العدد ٣: ص٤٣، ٤٦-٤٩.

(2) هذه المنظمة أنشأها نيكسون، انظر كتاب "الانفجار" لمحمد حسنين هيكل.

(3) ما ورد إلى هنا من أول موضوع الأمم المتحدة معظمه مأخوذ عن كتاب "الكواشف الجلية" بتصرف.

(4) لقد طلبت حركة طالبان الأفغانية من هذه المنظمة (المرتدة) إرسال مراقبين إلى أفغانستان لمراقبة إخواننا الموحدين من العرب، وللتأكد من عدم قيامهم بأي عمل جهادي أو إعدادي انطلاقا من أفغانستان، فكيف يستحل الطالبان مثل هذا التولي لهؤلاء المرتدين، بل وجعلهم رقباء على الموحدين، أين هذا وما يدعيه هؤلاء من تطبيق شرع الله وإمارة المؤمنين، أعجز هؤلاء أن يقفوا موقف أبي طالب رغم شركه من الرسول صلى الله عليه وسلم؟!، ولكن في الحقيقة الطامة أشد من ذلك، إذ أن هذه الحركة لا تكفر هذه الأنظمة المرتدة، ولذلك فهي تعاملهم وتواليهم على أنهم مسلمون.

(5) انظر على سبيل المثال إلى حركة طالبان الأفغانية، فهي تتودد للأمم المتحدة لنيل رضاها وذلك بطلبها المتكرر من هذه المنظمة التدخل في بعض القضايا التي تتعلق بشؤونها الداخلية والخارجية، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله عبد الحكيم مجاهد ممثل حركة طالبان لدى الأمم المتحدة، عندما خطف مسلحون مسلمون طائرة هندية وهبطوا بها في قندهار في أفغانستان، قال عبد الحكيم مجاهد أن مسئولا من مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشئون الإنسانية سيصل إلى

قال أبو محمد عاصم المقدسي: "ومعلوم أن هؤلاء الحكام لا يكفرون بطواغيت الشرق والغرب ولا يتبرؤون منهم بل هم بهم مؤمنون تولوهم وتحاكموا إليهم في فضّ الخصومة والنزاع وارتضوا أحكامهم الكفرية وقوانينهم الدولية في ظل هيئة اللمم (الأمم) ومحكمتها الكفرية.

وكذلك الطواغيت العربية وميثاقهم الشبيه بميثاق الأمم الملحدة الكافرة الدولي فهم لجميع أولئك الطواغيت أحباب وأولياء وعبيد لم يجتنبوهم ولم يجتنبوا نصرتهم ومظاهرتهم على شركهم، حتى يخرجوا من الشرك الذي قد ولجوا فيه ومن ثم يحكم لهم بالإسلام

فإن كان أمر طواغيت العرب مشتبه على من في عينه رمد فإن أمر طواغيت الكفر الغربيين والشرقيين من نصارى وبوذيين وشيوعيين وهندوس ونحوهم لا يخفى والله إلا على العميان، ومع ذلك فهم لهم أخوة وأحباء لم يكفروا بهم بل تجمع بينهم روابط الأخوة والصداقة والمودة ويجمع بينهم ميثاق الأمم المتحدة!! الكفري ويحتكمون عند الخصومة إلى محكمتها الكفرية التي مقرها في لاهاي.

فهم ما حققوا ركن التوحيد الأول والمهم (الكفر بالطاغوت) حتى يكونوا مسلمين هذا إذا سلمنا جدلاً أنهم قد جاءوا بالركن الآخر (الإيمان بالله)"

قندهار قادما من باكستان صباح الأحد لمتابعة مشكلة الطائرة المخطوفة وأضاف قائلا: "إننا نريد أن تحل الأمم المتحدة المشكلة" [وكالة محيط للأنباء بتاريخ ١٩٩٩/١٢/٢٦م].

ونسبت الوكالة الأفغانية (إذاعة الشريعة) إلى وزير خارجية طالبان وكيل أحمد متوكل قوله أنه طلب من الأمم المتحدة التوسط في القضية.

وأعلن وزير خارجية طالبان وكيل أحمد المتوكل للصحفيين في قندهار جنوبا حيث تربض الطائرة منذ السبت بينما يواصل المفاوضون الهنود مناقشاتهم مع مختطفي الطائرة: "لا نريد البتة إيواء أي قرصان". وأوضح الوزير أنه في حال تم التوصل إلى اتفاق بين الطرفين والإفراج عن الركاب ال (١٦٠) فإن السلطات الأفغانية ستسلم الخاطفين إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر [وكالة محيط للأنباء بتاريخ ١٩٩٩/١٢/٢٨م].

فهل يا ترى ستطبق الأمم المتحدة أحكام الشريعة في هذه الوقائع؟!!.

الفصل السابع:

الرد على شبهة
"أنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله ومع ذلك كان مسلماً"

قال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز: "أما أنه – أي النجاشي – حكم بما أنزل الله أو حكم بغير ما أنزل الله، فهذا ما لا يمكن إثباته أو نفيه إلا بخبر صحيح في هذه المسألة بعينها، وما لا سبيل إليه.

ولكن الثابت الذي يدل عليه مجموع الأحاديث أن المسلمين المهاجرين إلى الحبشة لم تبلغهم بعض الشرائع التي أنزلت في غيبتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الحال بالنسبة للنجاشي أيضا، والمسلم مكلف بما بلغه من الشرع وما لم يبلغه فهو غير مؤاخذ به. وكون النجاشي مات مسلما فهذا دليل على أنه فعل ما يجب عليه بقدر ما بلغه من دين الإسلام سواء كان قد حكم أو لم يحكم بما أنزل الله. – إلى أن قال – :

ومدار جواب هذه الشبهة على أن التكليف منوط ببلوغ أحكام الشريعة مع القدرة، فالنجاشي لم تبلغه أو عمل بما بلغه وما قدر عليه منها، وأما الحكام المعاصرون فقد بلغهم ما يجب عليهم وعلموا المراد منهم فما ازدادوا إلا طغيانا وعتوا.

وفي بيان هذا الأصل قال ابن تيمية رحمه الله: "وأيضا فإن الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها، كقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها﴾[١]، وقوله ﴿لا تكلف نفسا إلا وسعها﴾[٢]، وقوله: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾[٣]، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾[٤]، وقد دعاه المؤمنون بقولهم ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾[٥]، فقال: قد فعلت.

فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفساً ما تعجز عنه، خلافا للجهمية المجبرة، ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطئ والناسي خلافا للقدرية والمعتزلة، وهذا فصل الخطاب في هذا الباب.

فالمجتهد المستدل – من إمام وحاكم وعالم وناظر ومناظر ومفت وغير ذلك – إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع، كان هذا هو الذي كلفه الله إياه، وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع، ولا يعاقبه الله البتة – إلى أن قال –:

وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله فآمن به، وآمن بما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي وغيره، ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام، لكونه ممنوعا من الهجرة، أو ممنوعا من إظهار دينه، وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام، فهذا مؤمن من أهل الجنة – إلى أن قال – وكثير من شرائع الإسلام – أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت، بل قد روي أنه لم يكن يصلي الصلوات الخمس، ولا يصوم شهر رمضان، ولا

---

(1) سورة الأعراف:٤٢.

(2) سورة البقرة: ٢٣٣.

(3) سورة الطلاق:٧.

(4) سورة التغابن:١٦.

(5) سورة البقرة:٢٨٦.

يؤدي الزكاة الشرعية، لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه، وهو لا يمكنه مخالفتهم. ونحن نعلم قطعا أنه لم يكن يحكم بينهم بحكم القرآن - إلى أن قال - والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن، فإن قومه لا يقرونه على ذلك. وكثيرا ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا - بل وإماما - وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه ذلك، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها - إلى أن قال - :

وبالجملة لا خلاف بين المسلمين أن من كان في دار الكفر وقد آمن وهو عاجز عن الهجرة لا يجب عليه من الشرائع ما يعجز عنها بل الوجوب بحسب الإمكان، وكذلك ما لم يعلم حكمه، فلو لم يعلم أن الصلاة واجبة عليه وبقي مدة لم يصل لم يجب عليه القضاء في أظهر قولي العلماء، وهذا مذهب أبي حنيفة وأهل الظاهر، وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد.

وكذلك سائر الواجبات من صوم شهر رمضان وأداء الزكاة وغير ذلك. ولو لم يعلم تحريم الخمر فشربها لم يحد باتفاق المسلمين، وإنما اختلفوا في قضاء الصلاة"[1]. اهـ.

تنبيه على خطأ في كلام ابن تيمية السابق:

اشتمل كلام ابن تيمية السابق على صواب وخطأ:

أما الصواب: فهو أن العاجز عن شيء من الشريعة، سواء من جهة عدم التمكن من العلم به أو عدم القدرة على فعله، فهو معذور لا إثم عليه.

وأما الخطأ: فقول شيخ الإسلام إن قوم النجاشي - وهم كفار - كانوا لايقرّونه على الحكم بالقرآن، وهو لا يمكنه مخالفتهم، هذا حاصل كلامه رحمه الله، وهو خطأ، وهذا القول لا يصار إليه في الأصل إلا بعد إثبات بلوغ أحكام الشريعة إليه وأنه لم يلتزم بها بعد البلاغ، ولم يثبت ذلك بنقل صحيح، بل الظاهر خلاف ذلك كما يدل عليه حال الصحابة العائدين من الحبشة، فيكفي القول بأن الشرائع لم تبلغ النجاشي فلم تجب عليه.

أما القول بأن قومه كانوا ينكرون عليه ولا يقرونه، فهذا محض الظن والتخمين، والذي يهمنا هنا هو التنبيه على أن هذا ليس من الأعذار التي تجيز ترك الحكم بالشريعة، وهذا هو وجه الخطأ في كلامه، وإلا لجاز لأي حاكم ممن يحكمون بالقوانين الوضعية اليوم أن يعتذر بهذا العذر، فيدّعي أنه يخشى من قومه أو يخشى من القوى العالمية والدول الكبرى إن هو حكم بالشريعة، فهل هذا عذر مقبول يمنع من تكفيره؟!.

أما الأدلة على أن مثل هذه الخشية ليست عذرا ولا مانعا من التكفير، فمنها:

١ - قوله تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[2]، فأبطل الله عذر الخوف وخشية الناس في هذا المقام بقوله ﴿فلا تخشوا الناس﴾. وإذا كان الحكم بغير ما أنزل الله كفرا أكبر كما تقدم بسطه، فالكفر لا يترخص فيه بالخوف ما لم يقع إكراه ملجئ، وهذا غير متصور في حق الحكام لأنهم يفعلون ما يفعلون باختيارهم، وغاية أحدهم أن يخلع نفسه من الحكم ويتخلى عن الملك إن عجز عن إقامة حكم الله فهذا خير له من أن يظل في ملكه مقيما على الكفر. وقد تقدم الكلام في الفرق بين الخوف والإكراه بآخر مبحث الاعتقاد.

٢ - وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده

---

[1] من "منهاج السنة النبوية: ج٥/ ص١١٠-١٢٣ وهو بعينه موجود "مجموع الفتاوى: ج١٩/ ص٢١٥-٢٢٥.

[2] سورة المائدة: ٤٤.

فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾[1]، وأن الخوف ليس عذرا للوقوع في الكفر – وهو هنا بسبب موالاة الكفار – فدل على أن الخوف ليس مانعا من التكفير.

٣ – وهناك دليل خاص في هذه المسألة، وهو قصة هرقل ملك الروم مع قومه، فلما بلغته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، أراد أن يُسلم، ولكنه خاف من قومه أن يقتلوه كما قتلوا غيره ممن أسلم من أساقفة النصارى، فأراد أن يختبرهم فلم يوافقوه فلم يُسلم. وحديثه متفق عليه، وفي رواية البخاري: "ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له في حمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟. فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم علي. وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدّتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل"[2]، وقصة قتلهم لأسقفهم لما أعلن إسلامه ذكرها ابن حجر في شرحه لهذا الحديث، وقال ابن حجر عن هرقل: "وكان يحب أن يطيعوه فيستمر ملكه ويسلم ويسلموا بإسلامهم، فما آيس من الإيمان إلا بالشرط الذي أراده، وإلا فقد كان قادرا على أن يفرّ عنهم، ويترك ملكه رغبة في ما عند الله، والله الموفق"[3]. والشاهد من حديث هرقل أن خوفه من قومه لم يكن مانعا من تكفيره، وسبب كفره ترك الإقرار بالشهادتين، ولم يقع عليه إكراه فقد كان بإمكانه أن يفر عنهم كما قال ابن حجر، فكذلك لا يكون الخوف مانعا من تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله، فالكفر هو الكفر وإن اختلف سببه، سواء كان كفره بسبب ترك الإقرار بالشهادتين أو بسبب ترك الحكم بما أنزل الله.

وأحب أن أنبه هنا على أن قول ابن تيمية إن قوم النجاشي لم يكونوا ليوافقوه على إظهار دينه والحكم به، وأنه كان لا يستطيع أن يخالفهم، وأن هذا الكلام قاله ابن تيمية رحمه الله برأيه أو هو شيء استنبطه، وقد قال ابن القيم عكسه تماما. وأن النجاشي أظهر دينه – أو ما علمه من الدين – وأن قومه أطاعوه وأن هرقل علم بإسلامه لأن النجاشي كان يدفع له خراجاً ولما أسلم امتنع عن دفعه. فرجل يحمله دينه على تحدي هرقل ثم يخشى أن يحكم بالقرآن؟!. والصواب في هذا كله أنه عمل بما بلغه من الدين. أما ما ذكره ابن القيم فهو في "زاد المعاد" في "ذكر هديه صلى الله عليه وسلم في مكاتباته إلى الملوك وغيرهم" وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص إلى ملك عمان يدعوه إلى الإسلام، وهو جيفر وأخيه عبد ابني الجلندي، فسأل عبد ابن الجلندي عمراً فقال فيما رواه عمرو: "فسألني أين كان إسلامك؟. قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم. قال: وكيف صنع قومه بملكه. فقلت: أقروه واتبعوه. قال: والأساقفة والرهبان تبعوه؟!. قلت: نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت، وما نستحله في ديننا. ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت: بلى. قال: فبأي شيء علمت ذلك؟. قلت: كان النجاشي يخرج له خرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له النياق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين بدين غيرك دينا محدثا؟. قال هرقل: رجل رغب في

---

(1) سورة المائدة: ٥١-٥٢.

(2) الحديث رقم: ٧.

(3) فتح الباري: ج١/ ص٤٣.

دين، فاختاره لنفسه، ما أصنع به؟!، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع. قال: انظر ما تقول يا عمرو. قلت: والله صدقتك" اهـ[1].

وهذا كله في بيان خطأ ما ذهب إليه شيخ الإسلام من أن النجاشي لم يحكم بالقرآن لأن قومه لن يطيعوه في ذلك. والصواب أنه لم يحكم بالقرآن لأنه لم تبلغه الأحكام الشرعية التفصيلية. وشيخ الإسلام مع جلالته ورسوخ قدمه في العلم إلا أنه غير معصوم، وبالله تعالى التوفيق"[2] انتهى كلام الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.

وقال الشيخ أبو محمد المقدسي – رادا على هذه الشبهة – : "فقالوا: إنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله تعالى بعد أن أسلم وبقي على ذلك إلى أن مات ومع هذا فقد سماه النبي ﷺ عبداً صالحاً وصلى عليه وأمر أصحابه بالصلاة عليه.

فنقول وبالله تعالى التوفيق:-

أولاً: يلزم المحتج بهذه الشبهة المتهافتة قبل كلِّ شيءٍ أن يثبت لنا بنصٍ صحيح صريح قطعي الدلالة أنَّ النجاشي لم يحكم بما أنزل الله بعد إسلامه.. فقد تتبعتُ أقاويلهم من أولها إلى آخرها.. فما وجدتُ في جعبتهم إلا استنباطات ومزاعم جوفاء لا يدعمُها دليلٌ صحيحٌ ولا برهانٌ صادقٌ، وقد قال تعالى: ﴿قل هاتوا بُرهانكم إن كنتم صادقين﴾[69]. فإذا لم يأتوا بالبرهان على ذلك فليسوا من الصادقين بل هم من الكاذبين..

ثانياً: إنَّ من المسلَّم به بيننا وبين خصومنا أنَّ النجاشي قد مات قبل اكتمال التشريع.. فهو مات قطعاً قبل نزول قوله تعالى: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكمُ الإسلام **ديناً...**﴾[70]. إذ نزلت هذه الآية في حَجة الوداع، والنجاشي مات قبل الفتح بكثير كما ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - وغيره..[71].

فالحكمُ بما أنزل الله تعالى في حقه آنذاك؛ أن يحكم ويتبع ويعمل بما بلغه من الدين، لأن النذارة في مثل هذه الأبواب لابد فيها من بلوغ القرآن قال تعالى: ﴿وأُوحِيَ إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ..﴾[72]. ولم تكن وسائل النقل والاتصال في ذلك الزمان كحالها في هذا الزمان إذ كانت بعض الشرائع لا تصل للمرء إلا بعد سنين وربما لا يعلم بها إلا إذا شدَّ إلى النبي ﷺ الرحال... فالدينُ ما زال حديثاً والقرآنُ لا زال يتنزل والتشريعُ لم يكتمل... ويدل على ذلك دلالة واضحة.. ما رواه البخاريُّ وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "كنا نُسلِّم على النبيِّ ﷺ في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلَّمنا عليه، فلم يرد علينا، وقال: إنَّ في الصلاة شغلاً".. فإذا كان الصحابة الذين كانوا عند النجاشي بالحبشة مع العلم أنهم كانوا يعرفون العربية ويتتبعون أخبار النبي ﷺ لم يبلغهم نسخ الكلام والسلام في الصلاة مع أنَّ الصلاة أمرها ظاهر لأنَّ النبيَّ ﷺ كان يُصلي بالناس خمسَ مراتٍ في اليوم والليلة... فكيف بسائر العبادات والتشريعات والحدود التي لا تتكرر كتكرر الصلاة؟؟. – إلى أن قال – :

---

(1) زاد المعاد: ٦٢/٣.

(2) الجامع في طلب العلم الشريف: ج٢/ ص٩١٩-٩٢٢. الطبعة الثانية سنة ١٤١٥هـ.

(69) سورة البقرة، الآية ١١١ .

(70) سورة المائدة، الآية ٣ .

(71) انظر البداية والنهاية: ج ٣ ص ٢٧٧ .

(72) سورة الأنعام، الآية ١٩ .

ثالثاً: إذا تقرر هذا فيجب أن يُعلم أنَّ النجاشي قد حكم بما بلغه مما أنزل الله تعالى، ومَنْ زعم خلافَ هذا، فلا سبيل إلى تصديقه وقبول قوله إلا ببرهان ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.. وكلُّ ما يذكره المستدلون بقصته يدلُّ على أنّه كان حاكماً بما بلغه مما أنزله الله تعالى آنذاك...

١ ـ فمما كان يجبُ عليه آنذاك من اتباع ما أنزل الله: "تحقيق التوحيد والإيمان بنبوة محمد ﷺ وبأنَّ عيسى عبدُ الله ورسوله"... وقد فعل. انظر ذلك فيما يستدل به القوم.. رسالته التي بعثها إلى النبي ﷺ.. ذكرها عمر سليمان الأشقر في كُتيِّبه: "حكم المشاركة في الوزارة والمجالس النيابية"[٧٣].

٢ ـ وكذا بيعتَه للنبيِّ ﷺ والهجرة، ففي الرسالة المشار إليها آنفاً يذكر النجاشي: (أنه قد بايع رسول الله ﷺ وبايع ابنُ له جعفر وأصحابه وأسلم على يديه لله ربِّ العالمين، وفيها أنه بعثَ إليه بابنه أريحا بن الأصحم ابن أبجر، وقوله: إنْ شئتَ أن آتيك فعلتُ يا رسول الله فإنني أشهدُ أنَّ ما تقولُ حق). فلعلَّه مات بعد ذلك مباشرة، أو لعلَّ النبي ﷺ لم يُرِدْ منه ذلك آنذاك... كلُّ هذه أمور غير ظاهرة ولا بينة في القصة فلا يحل الجزم بشيء منها والاستدلال به، فضلاً عن أن يُناطح به التوحيد وأصولُ الدين!!!.

٣ ـ وكذا نصرةُ النبي ﷺ ودينه وأتباعه، فقد نصر النجاشي المهاجرين إليه وآواهم وحقق لهم الأمن والحماية، ولم يخذلهم أو يُسلمهم لقريش، ولا ترك نصارى الحبشة يتعرضون لهم بسوء رغم أنهم كانوا قد أظهروا معتقدهم الحق في عيسى عليه السلام... بل ورد في الرسالة الأخرى التي بعثها إلى النبي ﷺ (وقد أوردها عمر الأشقر في كتابه المذكور صفحة ٧٣) أنه بعث بابنه ومعه ستون رجلاً من أهل الحبشة إلى النبي ﷺ... وكلُّ ذلك نصرةً له واتباعاً وتأييداً..

ومع هذا فقد تهوّر عمر الأشقر فجزم في كتابه المذكور [ص٧٣] أنَّ النجاشي لم يحكم بشريعة الله وهذا كما عرفتَ كذبٌ وافتراءٌ على ذلك الموحِّد.. بل الحق أن يُقال إنه حكم بما بلغه مما أنزل الله آنذاك، ومن زعم خلافه فلا يُصدق إلا ببرهانٍ صحيح قطعيّ الدلالة، وإلا كان من الكاذبين ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ وهو لم يأتِ على دعواه هذه بدليلٍ صحيح صريح، لكن تتبع واحتطب من كتب التاريخ بليلٍ أموراً ظنها أدلة.. والتواريخ معروفٌ حالها...

يقول القحطاني الأندلسي ـ رحمه الله تعالى ـ في نونيته:-

لا تقبلن من التـــوارخ كلما	جمع الرواة وخط كلَّ بنـــان
ارو الحديث المنتقـى عن أهله	سيما ذوي الأحـلام والأســنان

فيقال له ولمن تابَعَه: (أثبتوا العرش ثم انقشوا)..

رابعاً: إنَّ الصورة في قصة النجاشي لحاكم كان كافراً ثم أسلم حديثاً وهو في منصبه، فأظهر صدق إسلامه بالاستسلام الكامل لأمر النبي ﷺ بأنْ يُرسل إليه ابنه وبرجال من قومه ويبعثُ معهم إليه يستأذنه بالهجرة إليه ويظهرُ نصرتَه ونصرةَ دينه وأتباعه، بل ويظهرُ البراءة مما يُناقضه من معتقده ومعتقد قومه وآبائه... ويُحاول أن يطلب الحق ويتعلم الدين وأن يُسدد ويُقارب إلى أن يلقى الله على هذه الحال وذلك قبل اكتمال التشريع وبلوغه إليه كاملاً... هذه هي الصورة الحقيقية الواردة في الأحاديث والآثار الصحيحة الثابتة في شأنه.. ونحن نتحدى مخالفينا في أن

---

(٧٣) الصفحة ٧١ من كتابه المذكور وهي في زاد المعاد: ج٣ ص٦٠ .

يثبتوا غيرها.. لكن بدليل صريح صحيح أما التواريخ فلا تُسمن ولا تُغني من جوع وحدها دون إسناد..."[1] انتهى كلام المقدسي.

(1) رسالة الديمقراطية دين، للشيخ أبي محمد المقدسي فك الله أسره.

الفصل الثامن:

شبهة التحجج بـ"مصلحة الدعوة" لتجاوز القواعد الشرعية

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا يجوز إثبات الأحكام بمجرد الاستحسان والاستصلاح، فإن ذلك شرع للدين بالرأي وذلك حرام، لقوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾"[1].

وقال ابن تيمية أيضا: "إن المحرمات قسمان: أحدهما ما يقطع بأن الشرع لم يبح منه شيئا لا لضرورة ولا لغير ضرورة كالشرك والفواحش والقول على الله بغير علم والظلم المحض، وهي الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[2].

فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع، وبتحريمها بعث الله جميع الرسل، ولم يبح منها شيئا قط، ولا في حال من الأحوال"[3].

كما قال أيضا: "وهذا لا يجيء في الأنواع الأربعة، فإن الشرك والقول على الله بلا علم والفواحش ما ظهر منها وما بطن: لا يكون فيها شيء من المصلحة"[4].

وقال أبو محمد بن حزم رحمه الله: "الحق حق وإن استقبحه الناس، والباطل باطل وإن استحسنه الناس، فصح أن الاستحسان شهوة، واتباعُ للهوى وضلال، وبالله تعالى نعوذ من الخذلان"[5].

وبعد أن ذكر قول الله تعالى: ﴿إن النفس لأمّارة بالسوء﴾[6]. وقوله عز وجل: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾[7]. وقوله سبحانه: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾[8].

قال رحمه الله تعالى: "وفي هذه الآي إبطال أن يتبع أحد ما استحسن بغير برهان من نص أو إجماع، ولا يكون أحد أحوط على العباد المؤمنين من الله خالقهم ورازقهم، وباعث الرسل إليهم، والاحتياط كله اتباع ما أمر الله تعالى به، والشناعة كلها مخالفته"[9].

---

(1) الصارم المسلول: ص٣٣١.

(2) سورة الأعراف:٣٣.

(3) مجموع الفتاوى: ج١٤/ ص٤٧٠-٤٧١.

(4) مجموع الفتاوى: ج١٤/ ص٤٧٦.

(5) الإحكام في أصول الأحكام: ١٩٦/٢.

(6) سورة يوسف: ٥٣.

(7) سورة الروم: ٢٩.

(8) سورة القصص: ٥٠.

(9) الإحكام في أصول الأحكام: ١٩٨/٢.

ويقول: "ونحن نقول لمن قال بالاستحسان: ما الفرق بين ما استحسنت أنت واستقبحه غيرك، وبين ما استحسنه غيرك واستقبحته أنت؟ وما الذي جعل أحد السبيلين أولى بالحق من الآخر؟ وهذا ما لا انفكاك منه، وبالله تعالى التوفيق"[١].

ويقول أيضا: "الاستحسان: هو ما اشتهته النفس ووافقها، كان خطأ أو صوابا" اهـ[٢].

ويقول أيضا عند قوله تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[٣]: "هذه كافية لمن عقل وحذر وآمن بالله واليوم الآخر وأيقن أن هذا العهد عهد ربه تعالى إليه ووصيته عز وجل الواردة عليه، فليفتش الإنسان نفسه، فإن وجد نفسه غير مسلمة لما جاءه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجد نفسه مائلة إلى قول فلان وفلان، أو إلى قياسه واستحسانه، ووجد نفسه تحكم فيما نازعت فيه أحداً دون رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب فمن دونه، فليعلم أن الله تعالى قد أقسم وقوله الحق أنه ليس مؤمناً وصدق الله تعالى، وإذ لم يكن مؤمناً فهو كافر ولا سبيل إلى قسم ثالث"[٤]. اهـ.

قال الشاطبي: "فإن الرأي من حيث هو رأي لا ينضبط إلى قانون شرعي إذا لم يكن له أصل شرعي، فإن العقول تستحسن ما لا يُستحسن شرعا، وتستقبح مالا يُستقبح شرعا، وإذا كان كذلك صار القياس على غير أصل، فتنة على الناس، ثم أخبر في الحديث أن المعلمين لهذا القياس أضر على الناس من سائر أهل الفرق وأشد فتنة[٥]"[٦].

قال أبو محمد المقدسي: "مَن الذي يحدد مصالح دينه وعباده ويعرفها حق المعرفة؟؟ الله اللطيف الخبير؟؟ أم أنتم باستحساناتكم واستصلاحاتكم؟؟.

فإن قالوا: نحن. قلنا: إذاً لكم دينكم ولنا دين، لا نعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما نعبد... لأنَّ الله جل ذكره يقول: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيءٍ﴾[١٠٨].

ويقول مُنكِراً على هؤلاء الديمقراطيين وأمثالهم: ﴿أيحسبُ الإنسان أن يُترك سدىً﴾[١٠٩]. ويقول: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾[١١٠].. – إلى أن قال: -

فإن قالوا: بل الله جل ذكره هو وحده الذي يحد الحدود ويقدِّر المصالح أحسنَ تقدير، لأنَّه هو الذي خلق الخلق وهو أعلمُ بمصالحهم ﴿ألا يعلمُ من خلقَ وهو اللطيف الخبير﴾[١١٢].

---

(1) الإحكام في أصول الأحكام: ٢/٢٠٠.

(2) الإحكام في أصول الأحكام: ١/٤٥.

(3) سورة النساء: ٦٥.

(4) الإحكام في أصول الأحكام: ١/٩٧ باختصار يسير.

(5) وقد أصبح هذا الأمر سببا لفتن عظيمة في زماننا هذا، فللمصحة استخدم القياس الفاسد في موارد النصوص، وردت القواعد الراسية وأصول الدين، وعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيرت الجيوش تحت رايات عمية ورايات شركية، واستعين بالمشركين والمارقين وغيرهم، وكل ذلك كان بحجة المصلحة والمفسدة، فكانت فعلا فتنة عظيمة.

(6) الاعتصام للشاطبي.

(108) سورة الأنعام، الآية ٣٨ .

(109) سورة القيامة، الآية ٣٨ .

(110) سورة المؤمنون، الآية ١١٥ .

(112) سورة الأنعام، الآية ١٠٣ .

سألناهم: فما هي أعظمُ مصلحةٍ في الوجود قرّرها الله تعالى في كتابه وأرسل من أجلها الرسل وأنزل الكتب وشرع الجهاد والاستشهاد، ولأجلها تُقام الدولة الإسلامية...يا دعاة الخلافة؟؟؟.

فإن تخبطوا في مصالح جزئية ثانوية وانحرفوا عن أصل الأصول.

قلنا لهم: خلّوا عنكم الفشر والهذيان واجلسوا تعلموا أصل دينكم تعلموا معنى **(لا إله إلا الله)** الذي لا تُقبل دعوةٌ ولا جهادٌ ولا استشهادٌ دون تحقيقها ومعرفة معناها... "[1].

---

[1] الديمقراطية دين.

الفصل التاسع :

شبهات في الموالاة والمعاداة

تعريف الموالاة والمعاداة[1]:

١ – في اللغة: أصل الموالاة من الولي – بسكون اللام – وهو القرب والدنو، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للغلام «كل مما يليك» أي مما يقاربك، ووالى بين شيئين: تابع بينهما بلا تفرقة، ومنه الموالاة في أعمال الوضوء، أي المتابعة بينها بلا تفرقة، فأصل الموالاة: القرب والمتابعة.

وضد الموالاة: المعاداة، وهي المباعدة والمخالفة.

والولي ضد: العدو، والولي هو: الناصر والمعين والحليف والمحب والصديق والقريب في النسب، والمعتِق والمُعتَق، والعبد، وكل من قام بأمر فهو وليه: كولي الأمر، وولي المرأة في النكاح، وولي اليتيم ونحوه.

٢ – أما في الشرع: فتطلق الموالاة علة عدد من المعاني، يعرف المراد منها بحسب السياق، وجميع المعاني الشرعية للموالاة ترجع إلى أصلها اللغوي، وهو القرب والدنو، ومن هذه المعاني:

أ – ولاء النصرة: وهو أظهر معاني الموالاة في الكتاب والسنة حتى أن غيره من معاني الولاء - كولاء العتق والنسب - يرجع إليه أي إلى النصرة. ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله﴾[2]، فدلت الآية على أن الولي هو الناصر، وأن النصرة موالاة بلا ريب، وقوله تعالى: ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[3]، أي أنت ناصرنا.

ب – ولاء الطاعة والمتابعة: ومنه قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى﴾[4]، فبين أن اتباع غير سبيل المؤمنين هو نوع من أنواع التولي ﴿نوله ما تولى﴾، وقوله تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾[5]، وتدل على أن من اتبع أحدا فقد اتخذه وليا، ومن هذا الباب عبادة غير الله، كما قال ثعلب: كل من عبد شيئا من دون الله فقد اتخذه وليا[6].

ج – ولاء المودة والمحبة: فولاء المودة كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾[7]، فجعل المودة من الموالاة، وولاء المحبة كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم – إلى قوله تعالى –

---

(1) مأخوذ من كتاب الجامع في طلب العلم الشريف" بتصرّف: ج٢/ ص٦٠٢-٦٠٤.

(2) سورة الشورى:٤٦.

(3) سورة البقرة: ٢٨٦.

(4) سورة النساء:١١٥.

(5) سورة الأعراف:٣.

(6) لسان العرب: ٤١١/١٥.

(7) سورة الممتحنة:١.

أحب إليكم من الله ورسوله﴾[1]، فجعل سبحانه محبة الكفار توليا لهم. فالمودة والمحبة من صور الموالاة.

د – ولاء التحالف والمؤاخاة: الذي كان المهاجرون والأنصار يتوارثون به قبل أن يُنسخ بولاء النسب، كما قال الفراء: ﴿مالكم من ولايتهم من شيء﴾ يريد: مالكم من مواريثهم من شيء[2]. ثم قال تعالى: ﴿وإن استنصروكم﴾ فنفى عنهم ولاء التوارث وأثبت لهم ولاء النصرة﴾ ثم إن ولاء التوارث هذا نسخ بقوله تعالى: ﴿وألوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾[3].

هـ - ولاء النسب: وهم العصبة من الأقربين، وبه التوارث كما في الآيات الأنفال:٧٥ والأحزاب:٦، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى رجل ذكر» متفق عليه، أي لأقرب رجل في النسب إلى المورث.

و – ولاء العتق: فيسمى المُعتِق والمُعتَق مولى، وبه يقع التوارث بشروطه، فمن أعتق عبده ورثه إن مات ولا وارث له، وهو المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الولاء لمن أعتق» الحديث متفق عليه.

ز – ولاء الإسلام: فيطلق على من أسلم على يد رجل أنه مولاه، ولا يثبت بهذا الولاء شيء من الأحكام على الراجح.

حكم موالاة ومعاداة الكافرين:

يثير البعض بعض الشبه التي يراد بها تبرير بعض التصرفات غير الشرعية التي تصدر من بعض الجهات في موالاة أعداء الله، وبعض هذه التصرفات خطيرة قد تصل إلى حد الكفر والردة عن الدين والعياذ بالله.

وهؤلاء يثيرون شبها قد رددنا على بعضها - فيما سبق من هذه الرسالة - مثل شبهة التعلل بالمصلحة والمفسدة، وشبه أخرى تتعلق براية القتال، وهنا نريد أن نبين حكم الله تعالى في موالاة الكفار والمشركين، ونرد على شبه تثار في تبرير التجاوزات الشرعية التي ترتكب في هذه المسألة، والتي تبرر تارة بحجة المصلحة والمفسدة، وتارة بحجة الضرورات والاضطرار، وتارة بحجة التقية، وتارة بحجة الإكراه، ولذلك أردنا أن نبين هنا الحالات الاستثنائية التي لا يرخص ارتكاب مكفّر فيما سواها:

قال الشيخ سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمهم الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرّهم فإنه كافر مثلهم، وإن كان يكره دينهم ويُبغضهم ويحب الإسلام والمسلمين، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك، فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ودخل في طاعتهم وأظهر الموافقة على دينهم الباطل وأعانهم عليه بالنصرة والمال ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين وصار من جنود القباب والشرك وأهلها، بعد ما كان من جنود الإخلاص والتوحيد وأهله، فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يُستثنى من ذلك إلا المكره وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له اكفر أو افعل كذا وإلا فعلنا بك وقتلناك، أو يأخذونه فيعذّبونه حتى يوافقهم فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب

---

(1) سورة التوبة: ٢٣-٢٤.

(2) لسان العرب: ٤٠٧/١٥.

(3) سورة الأنفال: ٧٥.

بالإيمان، وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا أنه يكفر فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا في الدنيا، وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون الله وتأييده.

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾، فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى وكذلك المشركون لا يرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبع ملتهم، ويشهد أنهم على حق، ثم قال تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿إنك إذن لمن الظالمين﴾، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لو يوافقهم على دينهم ظاهرا من غير عقيدة القلب لكن خوفا من شرهم، ومداهنة كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق، وهدى مستقيم فإنهم لا يرضون إلا بذلك.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾، فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يُرخّص في موافقتهم خوفا على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرّهم أنه مرتد، فإن مات على ردّته بعد أن قاتله المشركون فإنه من أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟!، فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له عرفت أن الذين يأتون إليهم ويسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال أنهم أولى بعدم العذر، وأنهم كفار مرتدون.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾، فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحابا من دون المؤمنين، وإن كانوا خائفين منهم، وأخبر أن من فعل ذلك ﴿فليس من الله في شيء﴾ أي لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ وهو أن يكون الإنسان مقهورا معهم لا يقدر على عداوتهم فيُظهر لهم المعاشرة وقلبه مطمئن بالبغضاء والعداوة وانتظار زوال المانع فإذا زال رجع إلى العداوة والبغضاء، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر لاستحباب الدنيا على الآخرة والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله؟!. فما جعل الله الخوف منهم عذرا بل قال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين﴾، فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردّوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يُرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفا منهم، وهذا هو الواقع، فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بالشهادة أنهم على حق، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين وقطع اليد منهم، ثم قال تعالى: ﴿بل الله مولاكم وهو خير الناصرين﴾، فأخبر تعالى أنه ولي المؤمنين وناصرهم وهو خير الناصرين، ففي ولايته وطاعته كفاية وغنية عن طاعة الكفار، فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشأوا فيه ودانوا به زمانا كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين وخير الناصرين إلى ولاية القباب وأهلها، ورضوا بها بدلا من ولاية من بيده ملكوت كل شيء ﴿بئس للظالمين بدلا﴾.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾، فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله ومن اتبع ما يُسخطه ومأواه جهنم يوم القيامة ولا ريب أن عبادة الرحمن وحده ونصرها وكون الإنسان من أهلها من رضوان الله، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يُسخط الله، فلا يستوي عند الله

من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين، فإن قالوا خفنا قيل لهم كذبتم وأيضا فما جعل الله الخوف عذرا في اتباع ما يُسخطه واجتناب ما يُرضيه، وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفا من زوال دنياهم وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة، فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾ أي في أي فريق كنتم؟ أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين، فاعتذروا عن كونهم لم يكونوا في فريق المسلمين بالاستضعاف فلم تعذرهم الملائكة ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾، ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين وصاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم أعظم ممن ترك الهجرة مشحة بوطنه وأهله وماله هذا مع أن الآية نزلت في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم، فخرجوا خائفين، فقتلهم المسلمون يوم بدر، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا قتلنا إخواننا فأنزل الله فيهم هذه الآية، فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم، ودخلوا في طاعتهم وآووهم ونصروهم وخذلوا أهل التوحيد وابتغوا غير سبيلهم وخطئوهم وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم والاستهزاء بهم بتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعا لا كرها واختيارا لا اضطرارا. فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحا بالوطن وخوفا من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين، فإن قال قائل هل كان الإكراه على الخروج عذرا للذين قتلوا يوم بدر؟، قيل: لا يكون عذرا لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين إذ أقاموا مع الكفار فلا يعذرون بعد ذلك الإكراه لأنهم السبب في ذلك، حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع: قوله تعالى: ﴿وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾، فذكر تعالى أنه نزّل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم، ولم يفرق بين الخائف وغيره إلا المكره وهم في بلد واحد في أول الإسلام، فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزه وبلاده، فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئين بها إلى بلاده واتخذهم أولياء وأصحابا وجلساء وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم وطرد أهل التوحيد وأبعدهم.

الدليل الثامن: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم، وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان، فهو منهم، فإن جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك، وأن أهلها ليسوا بمشركين بانَ أمره واتضح عناده وكفره، ولم يفرّق تعالى بين الخائف، بل أخبر الله تعالى أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفا من الدوائر وهكذا حال هؤلاء المرتدين خافوا من الدوائر فزال ما في قلوبهم من الإيمان[1] بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا إلى الشرك خوفا أن تصيبهم دائرة، قال الله تعالى: ﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾.

---

[1] يقصد قوله تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح...﴾ الآية.

الدليل التاسع: قوله تعالى: ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾، فذكر تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط الله والخلود في النار بمجرّدها، وإن كان الإنسان خائفا إلا المُكره بشرطه، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح وهو معاداة التوحيد وأهله، والمعاونة على زوال دعوة الله بالإخلاص وعلى تثبيت دعوة غيره؟!.

الدليل العاشر: قوله تعالى: ﴿ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾، فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقون، ولم يُفرّق بين من خاف الدائرة ومن لم يخف وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردّتهم كثير منهم فاسقون، فجر ذلك إلى موالاة الكفار والردة عن الإسلام نعوذ بالله من ذلك.

الدليل الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾، وهذه الآية نزلت لما قال المشركون تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله فأنزل الله هذه الآية، فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركا من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم والسكون معهم ونصرهم والشهادة أنهم على حق واستحلال دماء المسلمين وأموالهم والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين، فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال.

الدليل الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ وهذه الآية نزلت في رجل عالم عابد في زمان بني إسرائيل يقال له بلعام وكان يعلم الاسم الأعظم، قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس لما نزل بهم موسى عليه السلام يعني بالجبارين أتوه بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه إن يظهر علينا يُهلكنا فادع الله أن يرد موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت الله ذهبت دنياي وآخرتي. فلم يزالوا به حتى دعا عليهم، فسلخه الله مما كان عليه فذلك قوله تعالى: ﴿فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾، وقال ابن زيد كان هواه مع القوم يعني الذين حاربوا موسى وقومه، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله بعد أن أعطاه الله إياها وعرّفها وصار من أهلها ثم انسلخ منها أي ترك العمل بها، وذكر في انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرة المشركين ومعاونتهم برأيه، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه أن يردّهم الله عن قومه خوفا على قومه وشفقة عليهم مع كونه يعرف الحق ويقطع به ويتكلم به ويشهد به ويتعبد ولكن صده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض فكان هذا انسلاخا من آيات الله، وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم فإن الله تعالى أعطاهم آياته التي فيها الأمر بتوحيده ودعوته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك به، ودعوة غيره والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم والاعتصام بحبل الله جميعا والكون مع المؤمنين والأمر بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم وفراقهم والأمر بهدم الأوثان وإزالة القحاب واللواط والمنكرات، وعرفوها وأقروا بها ثم انسلخوا من ذلك كله، فهم أولى بالانسلاخ من آيات الله والكفر والردة من بلعام أو هم مثله.

الدليل الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة والكفار والظالمين موجب لمسيس النار، ولم يفرّق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم دينا ورأيا حسنا وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي وأحب زوال التوحيد وأهله واستيلاء أهل الشرك عليهم، فإن هذا من أعظم الكفر والركون.

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا

الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ فحكم تعالى حكما لا يُبدل أن من كفر بباطنه وظاهره أم بباطنه دون ظاهره، وسواء كفر بفعاله أو مقاله أو بأحدهما دون الآخر وسواء كان طامعا في دنيا ينالها من المشركين أم لا فهو كافر على كل حال إلا المكره وهو في لغتنا المغصوب، فإذا أكره إنسان على الكفر أو قيل له اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك أو أخذه المشركون فضربوه ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم جاز له موافقتهم في الظاهر بشرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان أي ثابتا عليه معتقدا له، فلما أن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرها، وظاهر كلام أحمد أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرها حتى يُعذّبه المشركون فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض فسلم عليه فلم يردّ عليه السلام فما زال يعتذر ويقول حديث عمار وقال الله ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر، فقال يحيى: لا يقبل عذرا. فلما خرج يحيى قال أحمد: يحتج بحديث عمار وحديث عمار مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني وأنتم قيل لكم نريد أن نضربكم. فقال يحيى: والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله منك، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون ما فعلنا هذا إلا خوفا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم، ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك أو الجهل بالتوحيد أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الآخرة، وعلى رضى رب العالمين فقال: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ فكفرهم تعالى وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة هم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأنهم الغافلون، ثم أخبر خبرا مؤكدا محققا أنهم في الآخرة هم الخاسرون.

الدليل الخامس عشر: قوله تعالى عن أهل الكهف: ﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين إما أن يرجموكم أي يقتلوكم شرّ قتلة برجم، وإما أن يُعيدوكم في ملتهم ودينهم ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ أي وإن وافقتموهم على دينهم بعد أن غلبوكم وقهروكم فلن تفلحوا إذا أبدا، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه، ومع ذلك ﴿يحسبون أنهم مهتدون﴾.

الدليل السادس عشر: قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف – أي على طرف – فإن أصابه خير – أي نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ونحو ذلك – اطمأن به – أي ثبت وقال هذا دين حسن ما رأينا فيه إلا خيرا – وإن أصابته فتنة – أي خوف ومرض وفقر ونحو ذلك – انقلب على وجهه – أي ارتد عن دينه ورجع إلى أهل الشرك -، فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة سواء بسواء، فإنهم قبل هذه الفتنة يعبدون الله على حرف – أي على طرف – ليسوا ممن يعبد الله على يقين وثبات، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم وأظهروا الموافقة للمشركين وأعطوهم الطاعة وخرجوا عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين، فهم معهم في الآخرة كما هم معهم في الدنيا فخسروا ﴿الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾، هذا مع أن كثيرا منهم في عافية ما أتاهم من عدو، وإنما ساء ظنهم بالله فظنوا أنه يُديل الباطل وأهل على الحق وأهله فأرداهم سوء ظنهم بالله، كما قال تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾، وأنت يا من منّ الله عليه بالثبات على الإسلام احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب أو تحسين هؤلاء المرتدين وأن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأيا حسنا حذرا على الأنفس والأموال والمحارم فإن هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيرا من الأولين والآخرين في الشرك بالله ولم يعذرهم الله بذلك، وإلا فكثير منهم يعرفون الحق ويعتقدونه بقلوبهم وإنما يدينون

لله بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه أو لبعضها فلم يعذر بها أحدا ولا ببعضها، فقال: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

الدليل السابع عشر: قوله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم، فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم فلم ينفعهم علمهم بالحق مع الردّة وغرّهم الشيطان بتسويله وتزيين ما ارتكبوه من الردّة، وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة غرّهم الشيطان فأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لا يضرّهم ما فعلوه، ونسوا أن من المشركين من يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا وخوفا على الأنفس والأموال والمآكل والرياسات، ثم قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر﴾ فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة وتسويل الشيطان والإملاء لهم هو قولهم للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر، فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله طاعتهم في بعض الأمر كافرا وإن لم يفعل[1] ما وعدهم به فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات، وأظهر أنهم على هدى وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم وأن الصواب في مسالمتهم والدخول في دينهم الباطل، فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر، ثم أخبر تعالى عن حالهم الفظيع عند الموت، ثم قال ﴿ذلك﴾ أي الأمر الفظيع عند الوفاة ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾ ولا يستريب المسلم أن اتباع المشركين والدخول في جملتهم والشهادة أنهم على حقّ ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ونصرة القباب والقحاب واللواط من اتباع ما يسخط الله وكراهة رضوانه وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف فإن الله ما عذر أهل الردّة بالخوف من المشركين، بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول ما جرى منا شيء ونحن على ديننا؟!.

الدليل الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نُطيع فيكم أحدا أبدا، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ فعقد الله تعالى الأخوة بين المنافقين والكفار وأخبر أنهم يقولون لهم في السر لئن أخرجتم لنخرجن معكم، أي لئن غلبكم محمد صلى الله عليه وسلم وأخرجكم من بلادكم ﴿لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا﴾ أي لا نسمع من أحد فيكم قولا ولا نعطي فيكم طاعة ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾ أي إن قاتلكم محمد صلى الله عليه وسلم لننصرنكم ونكون معكم، ثم شهد الله أنهم لكاذبون في هذا القول، فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم والخروج معهم ان جلوا نفاقا وكفرا وإن كان كذبا فكيف بمن أظهر ذلك صادقا وقدم عليهم ودخل في طاعتهم ودعا إليها ونصرهم وانقاد لهم وصار من جملتهم وأعانهم بالمال والرأي؟!، هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفا من الدوائر كما قال تعالى: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، فإن عذر كثير منهم هذا هو العذر الذي ذكره الله عن الذين في قلوبهم مرض، ولم يعذرهم الله به، قال تعالى: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين،

---

[1] وفي هذا رد على من يدعي أن مجرد إعطاء وعود كفرية للكفار أو طلب ما هو كفر منهم باللسان لا يترتب عليه كفر القائل ما لم يفعل ذلك الذي قاله.

ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين﴾ ثم قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ فأخبر تعالى أنه لا بد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المجاهدين، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين والعزّة والغلظة والقسوة على الكافرين، بضد من كان تواضعه وذله ولينه لعباد القباب وأهل القحاب واللواط، وعزّته وغلظته على أهل التوحيد والإخلاص، فكفى بهذا دليلا على كفر من وافقهم وإن ادعى أنه خائف فقد قال تعالى: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفا من المشركين، ثم قال تعالى: ﴿يجاهدون في سبيل الله﴾ أي في توحيده صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة الله هي العليا ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ أي لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم بل يمضون على دينهم مجاهدين فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه، ولا لرضاه إنما همّتهم وغاية مطلوبهم رضى سيّدهم ومعبودهم والهرب من سخطه، وهذا بخلاف من كان همّته وغاية مطلوبه رضى عبّاد القباب وأهل القحاب واللواط ورجاؤهم والهرب مما يسخطهم، فإن هذا غاية الضلال والخذلان، ثم قال تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ فأخبر الله تعالى أن هذا الخير العظيم والصفات الحميدة لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن ليس بحولهم ولا بقوّتهم وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾، ثم قال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ فأخبر الله تعالى خبرا بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين، ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة أهل الأوثان والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات؟! أم أهل الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؟[1]، فالمتولي لضدّهم واضع الولاية في غير محلها، مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة على ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب، ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ومن تولاهم، فقال: ﴿ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾.

الدليل التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباؤهم أو أبناؤهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ فأخبر تعالى أنك ﴿لا تجد﴾ من كان يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴿يوادّون من حادّ الله ورسوله﴾ ولو كان أقرب قريب وأن هذا منافي للإيمان مضاد له لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار، وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفا على الأموال والآباء والإخوان والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس، إذا كان لم يرخّص لأحد في موالاتهم واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفا منهم وإيثارا لمرضاتهم فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحابا وأظهر لهم الموافقة على دينهم، خوفا على بعض هذه الأمور ومحبة لها، ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام.

الدليل العشرون: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة﴾ إلى قوله: ﴿ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ أي أخطأ الصراط المستقيم، فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء وأصدقاء فقد ضلّ سواء السبيل أي أخطأ الصراط المستقيم وخرج عنه إلى الضلال، فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم

---

[1] هكذا في الطبعة، والصواب والله أعلم: "ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورسوله؟ أهل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من أهل الأوثان والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات؟! أم أهل الإخلاص وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة؟".

يخرج عنه فإن هذا تكذيب لله ومن كذّب الله فهو كافر، واستحلال لما حرّم الله من ولاية الكفار ومن استحل محرما فهو كافر، ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال: ﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير﴾، فلم يعذر الله تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليهما ومشقة مفارقتهما، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة، ولا تغني من عذاب الله شيئا، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون﴾.

الدليل الحادي والعشرون: من السنة ما رواه أبو داود وغيره عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله»، فجعل صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث من جامع المشركين أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم فهو مثلهم، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم، فإن قالوا خفنا قيل لهم كذبتم، وأيضا فليس الخوف بعذر، كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ فلم يعذر الله تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف، وإنما جاء إلى الباطل محبة له وخوفا من الدوائر، والأدلة على هذا كثير، وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته، وأما من أراد الله فتنته وضلالته فكما قال تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾[١]. هنا انتهى كلام الشيخ سليمان النجدي.

الفارق بين الموالاة والتقية[٢]:

والصحيح أن التقية غير الموالاة في اللغة وفي الشرع:

أما في اللغة: فقد ذكرنا من قبل أن الموالاة أصلها: القُرْب والدُّنُو.

أما التقيّة فأصلها في اللغة: الحَذَر، والحذر شيء والقُرب شيء آخر. والفعل: اتّقى، والمصدر: تَقِيَّة وتُقاة، وكلا المصدرين ورد في القراءات الصحيحة، فقرئ ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ وقرئ ﴿إلا أن تتقوا منهم تقيّة﴾. وأتّقيه تقيّة بمعنى حذرْته[٣].

وأما في الشرع: فإن التقيّة بمعنى الحذر من الكفار - عند الخوف منهم بسبب ظهورهم وغلبتهم - تكون بإخفاء المعاداة لهم أو بمداراتهم بإظهار القول الليِّن والمعاشرة الحسنة لهم. فهذا ما يجوز إظهاره مع الخوف، أما إن أظهر فوق ذلك بالذب عن الكفار أو نصرتهم والقتال دونهم فهذه موالاة ظاهرة مكفّرة لا يجوز شيء منها إلا مع الإكراه الملجئ مع الأخذ في الاعتبار الإجماع على أن الإكراه لا يجيز قتل المسلم بغير حق. وقد تساهل بعض المفسرين فسمّوا المداراة - التي تجيزها التقية - موالاة ظاهرة، وهذا خطأ، ولكن مؤلف "الرسالة الليمانية" اختار أقوال هؤلاء المفسرين دون غيرها لأنها تؤيد وجهة نظره، ونحن نذكرها ونذكر أقوال غيرهم من أئمة التفسير ثم نرجح بينهم بإذن الله.

أ - أما الذين قالوا إن التقية هي الموالاة الظاهرة:

* فمنهم أبو السعود، وذكرنا ما نقله عنه المؤلف آنفا.

---

(1) الدرر السنية: كتاب الجهاد: ص٥٧-٦٩.

(2) من كتاب "الجامع في طلب العلم الشريف": ج٢/ ص٦٣٣-٦٣٦ بتصرّف.

(3) انظر "لسان العرب" لابن منظور، ١٥/ ٤٠٢ - ٤٠٤، ط دار صادر.

* ونقل المؤلف في ص٢٤-٢٥ قول ابن العربي: "فساعِدوهم ووالوهم وقولوا ما يصرف عنكم من شرهم وأذاهم بظاهر منكم لا باعتقاد، بيَّن ذلك قوله تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾" اهـ.

* ونقل المؤلف في ص٢٥ قول النسفي: "أي إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذٍ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة" اهـ.

* وقال الشنقيطي: "أما عند الخوف والتقية فيرخَّص في موالاتهم بقدر المداراة التي يُكتفى بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة"[1].

ب - وأما الذين قالوا إن التقية هي إخفاء معاداة الكفار أو إظهار المداراة لهم:

* قال ابن حجر رحمه الله: "التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير"[2]. وهذا يبين أن التقية مجرد حَذَر لا موالاة.

* وقال ابن القيم رحمه الله: "ومعلوم أن التقاة ليست بموالاة ولكن لما نهاهم الله عن موالاة الكفار اقتضى ذلك معاداتهم والبراءة منهم ومجاهرتهم بالعدوان في كل حال، إلا إذا خافوا من شرهم فأباح لهم التقية، وليست التقية بموالاة"[3]. وهذا كلام واضح في أن التقية شيء غير الموالاة.

* وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: "ومسألة إظهار العداوة غير مسألة وجود العداوة، فالأول: يعذر به مع الخوف والعجز لقوله تعالى: ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾. والثاني: لابد منه لأنه يدخل في الكفر بالطاغوت، وبينه وبين حبِّ الله ورسوله تلازم كُليٍّ لا ينفك عن المؤمن"[4]. يريد الشيخ أن وجود معاداة الكفار في قلب المؤمن وإظهار هذه المعاداة للكفار واجبان، والواجب الأول - وهو وجود العداوة – لا بد منه في كل حال، أما الآخر - وهو إظهار العداوة - فيجوز تركه عند الخوف منهم للآية المذكورة. فعُلِمَ بذلك أن التقية عند الشيخ عبد اللطيف إنما تجيز إخفاء معاداة الكفار، وهو نفس كلام ابن القيم، وهو يرجع إلى ما ذكره ابن حجر من أن التقية الحذر من إظهار ما في النفس، وهو هنا معاداة الكفار، فالتقية إخفاء معاداة الكفار.

* وقال القرطبي رحمه الله - في بيان معنى التقية -: "قال ابن عباس: هو أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان ولا يقتل ولا يأتي مأثماً. وقال الحَسَن: التقية جائزة للإنسان إلى يوم القيامة ولا تقية في القتل. وقرأ جابر بن زيد ومجاهد والضحاك ﴿إلا أن تتقوا منهم تَقِيَّة﴾. وقيل إن المؤمن إذا كان قائما بين الكفار فله أن يداريهم باللسان إذا كان خائفاً على نفسه وقلبه مطمئن بالإيمان. والتقية لا تحل إلا مع خوف القتل أو القطع أو الايذاء العظيم"[5].

* وقال ابن كثير رحمه الله: "وقوله تعالى ﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ أي من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا باطنه ونيته، كما قال البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: "إنا لنُكَشِّرُ في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم". وقال الثوري: قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية وأبو الشعثاء والضحاك والربيع بن أنس، ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى: ﴿من كفر بالله

---

(1) أضواء البيان: ١١١/٢.

(2) فتح الباري: ٣١٤/١٢.

(3) "بدائع الفوائد" لابن القيم: ٦٩/٣.

(4) "الرسائل المفيدة" للشيخ عبد اللطيف، جمع سليمان بن سحمان: ص٢٨٤.

(5) تفسير القرطبي: ٥٧/٤.

من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. وقال البخاري: قال الحسن: التقية إلى يوم القيامة"[1]. ومعنى "نُكْشِر" - في قول أبي الدرداء - أي نَضحك.

* وقال البغوي رحمه الله: "نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين، أو يكون المؤمن في قوم كفار فيخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه من غير أن يستحل دماً حراماً أو مالاً حراماً، أو يُظهر الكفار على عورة المسلمين. والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل وسلامة النية، قال تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. ثم هذه رخصة فلو صبَرَ حتى قُتِل فله أجر عظيم"[2].

فهذه أقوال الفريقين من العلماء: من قال إن التقية هي الموالاة الظاهرة، ومن قال إنما هي مجرد إخفاء العداوة أو إظهار المداراة بملاينة الكفار، فأيهما صواب؟. والصواب هو قول الفريق الثاني والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾[3]. فهؤلاء المذكورن في الآية حَكَمَ الله بكفرهم بموالاتهم الكفار ﴿فإنه منهم﴾ رغم خوفهم ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾، فبيَّن الله تعالى في هذه الآية أن مجرد الخوف من أذى الكفار إذا ظهروا على المؤمنين ليس بعذر في المسارعة إلى موالاتهم، ولو كان الخوف يُرخص في الموالاة لما أكفرهم الله. فإذا كان الخوف يرخص في التقية ولا يرخص في الموالاة، عُلِمَ بذلك أن التقية غير الموالاة، كما قال ابن القيم - في كلامه المنقول آنفا – "وليست التقية بموالاة".

والخلاصة:

* **أن الخوف:** (وهو الأذى المتوقَّع من الكفار) يرخِّص في التقية بإخفاء معاداتهم أو بمداراتهم.
* **أما الإكراه:** (وهو الأذى الواقع فعلا من الكفار) فيرخِّص في الموالاة الظاهرة التي هي نوع من الكفر الأكبر مع اطمئنان القلب بالإيمان. فمن أظهر الموالاة للكفار دون إكراه ملجيء حكمنا بكفره.

وقد خلط بعض المفسرين بين الخوف والإكراه فيما نقلته عنهم آنفا، واستدلوا للتقية بآية الإكراه ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. ومن هنا تساهل بعضهم في اعتبار التقية موالاة ظاهرة باعتبار أنها مما يرخص فيه الإكراه. والتحقيق الذي يدل عليه ظاهر الآيات هو ما ذكرته لك في الخلاصة السابقة من أن التقية غير الموالاة ومن أن الخوف غير الإكراه. وإذا ظهر أن التقية شيء غير الموالاة - كما قال ابن القيم - فإن آيات سورة آل عمران التي استدل بها المؤلف - وهي قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء - إلى قوله - إلا أن تتقوا من منهم تقاة﴾ - يكون معناها: لا توالوهم ولكن اتقوهم واحذروهم عند الخوف منهم، وهذا ما ذكره البغوي والقرطبي وابن كثير في تفسير الآية.

وبهذا تعلم أن الموالاة الظاهرة لا يرخص فيها إلا الإكراه، فمن والى الكفار ظاهرا بغير إكراه حكمنا بكفره[4].

---

(1) تفسير ابن كثير: ٣٥٧/١.

(2) تفسير البغوي: ٣٣٦/١.

(3) سورة المائدة: ٥١-٥٢.

(4) الجامع في طلب العلم الشريف: ج٢/ ص٦٣٣-٦٣٦.

هذا عن عدم جواز عمل وقول المكفرات لمجرد الخوف من الكفار، والتمييز بين حالة الخوف والإكراه وبين الإكراه الملجئ الذي يباح فيه ارتكاب المكفرات ندرج الأقوال التالية:

الفارق بين الخوف والإكراه والإكراه الملجئ:

أ - تعريف الإكراه:

وأوجز تعريف هو ما ذكره ابن حجر أن الإكراه هو: إلزام الغير بما لا يريده(1).

ب - شروط اعتبار الإكراه:

قال ابن حجر رحمه الله: "وشروط الإكراه أربعة:

الأول: أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هَدَّده به فورياً، فلو قال: إن لم تفعل كذا ضربتك غدا لا يُعد مُكرها، ويستثنى ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً أو جرت العادة بأنه لا يُخلف.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره"(2). ولم يذكر ابن حجر في كلامه هذا صفة التهديد الذي يُعَد إكراهاً، وإنما ذكره بعد ذلك، وينبغي أن يكون هذا شرطاً خامساً، فنقول:

الخامس: نوع ما يهدده به أو ما يسمى "حَدّ الإكراه".

فقال ابن حجر: "واختُلف فيما يهدد به، فاتفقوا على القتل وإتلاف العضو والضرب الشديد والحبس الطويل، واختلفوا في يسير الضرب والحبس كيوم أو يومين"، وقال أيضاً: "واختلف في حَدّ الإكراه، فأخرج عبد بن حميد بسند صحيح عن عمر قال: "ليس الرجل بأمين على نفسه إذا سُجن أو أوثِقَ أو عذّب"، ومن طريق شُريح نحوه وزيادة ولفظه "أربعٌ كلهن كُره: السجن والضرب والوعيد والقيد"، وعن ابن مسعود قال: "ما كلامٌ يدرأ عني سوطين إلا كنت متكلماً به"، وهو قول الجمهور"(3) اهـ. وهذه الأمور المذكورة في حَدّ الإكراه قسَّمها الأحناف إلى قسمين:

الأول: إكراه ملجئ أو تام: وذلك بالتهديد بالقتل والقطع وبالضرب الذي يخاف منه تَلَف النفس أو العضو.

والآخر: إكراه غير ملجئ أو ناقص: وهو ما كان بالحَبْس والقيد والضرب الذي لا يخاف منه التلف(4).

ومذهب جمهور العلماء أن الترخص في الكفر لا يكون إلا بالإكراه الملجئ، وهذا قول الأحناف والمالكية والحنابلة، وقال الشافعي إن الحبس والقيد إكراه على الردّة. وقول الأحناف في، وقول المالكية في [الشرح الصغير: ٢/٥٤٨-٥٤٩]، وقول الحنابلة في [المغني مع الشرح الكبير: ١٠/١٠٧-١٠٩]، وقول الشافعية في [المجموع: ١٨/٦-٧]. وكلهم أجمعوا على أن من أكرهَ على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجراً عند الله ممن اختار الرخصة، نقله ابن حجر عن ابن بطال وهذا لفظه في [فتح الباري: ١٢/٣١٧]، ونقل الإجماع أيضا القرطبي في تفسيره [١٠/ ١٨٨].

---

(1) فتح الباري: ١٢/٣١١.

(2) فتح الباري: ١٢/٣١١.

(3) فتح الباري: ١٢/٣١٢ و٣١٤.

(4) "بدائع الصنائع" للكاساني: ٩/٤٤٧٩.

وفي الترجيح بين أقوال المختلفين فيما يقع به الإكراه على الكفر، رجّح ابن تيمية قول الجمهور وهو قول الحنابلة فقال: "تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكرَه عليه، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نص في غير موضع أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضربٍ وقيد ولا يكون الكلام إكراها"[1].

والحجة لقول الجمهور هو سبب النزول، فإن عمار بن ياسر لم يتكلم بالكفر حتى عذّبه المشركون، وعلى المشهور فإن هذا هو سبب نزول قوله تعالى: ﴿من كَفَر بالله من بعد إيمانه إلا من أكرِهَ وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[2]، قال ابن حجر: "والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر، كما جاء من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: "أخذ المشركون عماراً فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكي ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئناً بالإيمان، قال: «فإن عادوا فعُد». وهو مُرسَل ورجاله ثقات أخرجه الطبري وقبله عبد الرزاق وعنه عبد بن حميد"[3]. وقد أشار البخاري رحمه الله - حسب عادته في التلميح - إلى حد الإكراه المرخص في الكفر وذلك في باب "من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر" بكتاب الإكراه من صحيحه، وذكر فيه ثلاثة أحاديث الأول حديث أنس مرفوعا: «ثلاث من كُنّ فيه وجد حلاوة الإيمان - ومنها - وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» وفيه إشارة إلى أن العودة في الكفر تعدل دخول النار بما يعني الهلاك، فلا يرخص في الكفر إلا عند خشية الهلاك وتلف النفس وهو قول الجمهور. والحديث الثاني عن سعيد بن زيد قال: "لقد رأيتني وإن عمر مُوثِقِي على الإسلام" الحديث، وفيه أن عمر بن الخطاب - قبل إسلامه - كان يوثق سعيد بن زيد ويقيّده ليرتد عن الإسلام، ولم يكن القيد ليرخص له في ذلك وفيه إشارة للرد على الشافعية في قولهم إن الحبس والقيد إكراه على الردة. ثم ذكر البخاري حديث خباب مرفوعا: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصدّه ذلك عن دينه» الحديث، وفيه أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على من اختاروا القتل والعذاب على الكفر وامتدحهم، ويشير البخاري بذلك إلى الدليل الموافق للإجماع على أن من اختار القتل على الكفر أنه أعظم أجراً. والأحاديث الثلاثة المذكورة هنا أرقامها [٦٩٤١ و ٦٩٤٢ و ٦٩٤٣].

هذا ما يتعلق بشروط الإكراه المعتبر وحَدّه المرخّص في الكفر[4].

وقال الشيخ حَمَد بن عتيق النجدي: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: تأملت المذهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكرَه عليه، فليس الإكراه المعتبر في كلمة الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها، فإن أحمد قد نصَّ في غير موضع أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب وقيد ولا يكون الكلام إكراهاً، وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها يمسكه فلها أن ترجع بناء على أنها لا تَهَب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها فعَلى خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراه ولفظه في موضع آخر أنه أكرهها، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر فإن الأسير إذا خشي من الكفار أن لا يزوجوه وأن يحولوا بينه وبين امرأته لم

---

(1) "الدفاع عن أهل السنة والاتباع" لحمد بن عتيق: صـ ٣٢، و"مجموعة التوحيد": صـ ٤١٩ ضمن الرسالة الثانية عشرة لحمد بن عتيق أيضا.

(2) سورة النحل:١٠٦.

(3) فتح الباري: ٣١٢/١٢.

(4) من بداية تعريف الإكراه إلى هنا مأخوذ من كتاب " الجامع في طلب العلم الشريف": ج٢/ ص٦١٩-٦٢٠، بتصرف.

يبح له التكلم بكلمة الكفر - انتهى - ومثله كثير في كلام غيره وإذا تبين ذلك فقد تقدم أن مظاهرة المشركين ودلالتهم على عورات المسلمين أو الذب عنهم بلسان أو رضى بما هم عليه كل هذه مكفرات ممن صدرت منه من غير الإكراه المذكور فهو مرتد وإن كان مع ذلك يبغض الكفار ويحب المسلمين وقد تقدم ذلك في غير موضع وإنما كررنا لعموم الجهل به وشدة الحاجة إلى معرفته"[1] اهـ.

(1) "الدفاع عن أهل السنة والاتباع" للشيخ حمد بن عتيق: ص٣١-٣٢، ط دار القرآن الكريم ١٤٠٠هـ.

الفصل العاشر :

بطلان استنباط أحكام شرعية
من أحداث تاريخية وكتب التاريخ

ولقد قال البعض - مستدلا على جواز القتال مع من أظهر الكفر والشرك – أن "السلف غزوا مع الحجاج وما أدراك ما الحجاج؟! وأمثاله من أمراء الجند والحرب في بني أمية، وفي القرن الأول ارتد بربر شمال أفريقيا مرات ولم يجد أهل السنة أحدا يدفعون إليه رايتهم ذات مرة إلا قائدا معروفا من الخوارج[1] وتساءل بعض الناس فكان شعار علماء شمال أفريقيا من أهل السنة إذ ذاك نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة، وما ذلك إلا لدفع تلك الضرورة ثم جاء بنو العباس وقامت فتنة خلق القرآن، فلم يكن المأمون ومن تلاه المعتصم ثم الواثق فالمتوكل حتى انتهت الفتنة ومن معهم من الحكومة والحاشية من بني العباس آنذاك مجرد مبتدعة كانت بدعتهم هي قضية خلق القرآن ولم يكونوا يدعون إليها فحسب بل كانوا يمتحنون العلماء عليها ويعذبونهم ويقتلونهم، فهل ترك السلف وعلى رأسهم إمام أهل السنة الصلاة وراءهم والقتال معهم؟! كلا! بل ورد نصه يقول: أن من يقول بذلك قعدة مثبطون جهلة لو فعل كل واحد هذا ماذا يفعل الروم – إلى أن قال – نقل عن الإمام أحمد ليس فقط التحريض على القتال معهم جهاد طلب (انظروا ليس جهاد دفع) هم قصدوا الروم في عمورية من بلاد الأناضول، نقل عن الإمام أحمد أنه قال: اللهم أحللته من إثم ضربي لما فتح الله عليه وعلى من معه من المسلمين[2] فتأمل"، ثم مضى يسهب في سرد أحداث أخرى عن السلاجقة وغيرهم إلى أن قال: "ثم قفزة أخرى إلى أيام التتار وقد وقف فيمن وقف في مرحلتها إمامين جليلين من أعظم أئمة الإسلام أولهما ابن تيمية، حرّض الناس على قتالهم وقاتل بنفسه، ومع من؟ مع المماليك وأمراء المماليك من جيش مصر والشام، وما المماليك؟ انظر تاريخهم وانظر انتشار الجهل، والبدع والتصوف وحجهم للقبور وتعظيمهم لقبر البدوي في مصر وسوى ذلك... – إلى أن قال – بل ذهب في فتاويه إلى اعتبار جند الشام وجند مصر هم الطائفة المنصورة[3] التي يحفظ بها الله دينه[4]".

قلت: الأصل في هذا الأمر هو الرجوع إلى كتاب الله وآياته المحكمة، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم صحيحة الإسناد، وسنة الخلفاء الراشدين وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، لا الرجوع إلى زمن الاختلاف والفتن، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها

---

(1) وقائل هذا الكلام قد وقع في تناقض فاحش، فقد أنزل بيانا في عدم جواز دعم الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر في قتالها ضد النظام العلماني المرتد الكافر في الجزائر، وذكر أن سبب ذلك ما في منهج هذه الجماعة من غلو في التكفير وأنهم خوارج، ثم بدأ يشن هجوما على كل من دافع عن القتال معها ودعم هذه الجماعة، والآن وبعد أن حرّم ذلك على الجماعة الإسلامية المسلحة أجاز ذلك لمن هو أشد سوءا منها ممن يظهر الكفر البواح ويكفرون أمثاله بحجة أنهم وهابيين، ثم مضى يستدل لفعله هذا بما نسبه إلى أهل السنة في ذلك الزمان من القتال تحت راية الخوارج ضد المرتدين، وهكذا أصبح الأمر ألعوبة في أيديهم يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليوافق أهواءهم ونزواتهم.

(2) هل تصح هذه الرواية؟!، وإن كان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل قد أحله عن إثم ضربه، فهل يا ترى قد أحله الله من إثم القول بخلق القرآن وإكراه الناس عليه، وهل ارتكاب الشرك والكفر أمر يهون إلى هذه الدرجة حتى يزول إثمه بمجرد فتح مدينة أو قلعة؟!!.

(3) يريد القائل أن يفهمنا أن ابن تيمية جعل أهل الجهل والبدع والتصوف وحجاج القبور وعبادها وأهل الفسق والفجور هم الطائفة المنصورة في ذلك الزمان، فانظر إلى النتيجة المزرية التي وصل إليها الكاتب من اعتماد كتب التاريخ للوصول إلى حقائق فتاوى العلماء، والاستناد عليها لاستنباط أحكام شرعية.

(4) وهذا الكاتب لم يذكر أية مصادر لما ذكره هنا، ومعلوم أن أي باحث واع مهما كانت رتبته يحرص أن يذكر المراجع ويوثقها.

بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة»[1] وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»[2]، فبهذا يكون المخرج من الفتن والعصمة من الزيغ الضلال، هذا وقد قال تعالى فيمن ترك الآيات المحكمة من كتاب الله تعالى ليستدل بالآيات المتشابهة فيه، قال جل وعلا: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله﴾[3]، وقال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[4]، فكيف بمن ترك كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ثم مضى ليستدل بأحداث جرت في زمن الاختلاف والفتن والبدع والضلالات؟!.

ولهذا نقول:

١ ـ أن هذه أحداث ووقائع تاريخية نُقلت إلينا بأسانيد معظمها ضعيفة أو غير معروفة، فكما أنه قد نقلت أحاديث مكذوبة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأقوال متناقضة في مسألة واحدة عن إمام واحد، فقد نقلت إلينا وقائع تاريخية مزورة لا أصل لها من كتب التاريخ والرحّالة عبر العصور وغيرهم مما لا يوثق به ولا يثبت به شيء، ولو كنا مصدقيها لكنا قلنا عن ابن تيمية مجسما ومشبها لله بخلقه، كما روى عنه ابن بطوطة[5]، وغيره من أهل الأهواء ولفقوا، والحسم في الموضوع أن نصدّق المنقول إلينا بأسانيد صحيحة فقط، لا أن نأخذ كل ما يرد إلينا أو ننتقيه بأهوائنا مما يتناسب مع أقوالنا وأفعالنا. يقول القحطاني الأندلسي ـ رحمه الله تعالى ـ في نونيته:

لا تقبلن من التـــوارخ كلما	جمع الرواة وخط كلّ بنـــان
اروِ الحديث المنتقــى عن أهله	سيما ذوي الأحلام والأســنان

٢ ـ أن هذه الوقائع وإن صحت فمعظمها ليست ذات علاقة فيما نحن فيه من عدم جواز القتال مع من أظهر الكفر البواح من الأعمال والأقوال التي ثبت كونها كفرا بأدلة قطعية ونصوص صحيحة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمعظم هذه الأحداث في أهل بدع وأهواء لا تصل بدعهم وفسادهم إلى ما نحن بصدده من إظهار الكفر البواح الصراح، حتى كفر القائل بخلق القرآن ليس مما هو فيه نص صريح قطعي الدلالة قطعي الثبوت، وإنما هي ثبتت باجتهاد العلماء من مجمل نصوص القرآن التي ورد فيها أن القرآن كلام الله، "وهذا من أشهر الأشياء في كتب السلف قولهم: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال إنه مخلوق فهو كافر[6]، ولا يوجد نص في الكتاب أو السنة بأن من قال القرآن مخلوق فهو كافر مثلما يوجد نص بأن من ترك الصلاة فقد كفر، كما لا يوجد أثر عن الصحابة في مسألة خلق القرآن، وإنما استنبط العلماء الحكم بكفره من جهة أن النصوص دلت على أن القرآن كلام الله وعلمه، وكلامه وعلمه من صفاته جل شأنه، وصفاته لا تكون مخلوقة، ومن أنكر ذلك وقال إنها مخلوقة فقد كفر، حتى أصبح حكم هذه المسألة محل إجماع أهل السنة. ومما يبين لك خفاء حكم هذه المسألة ما رواه الذهبي عن القاضي أبي يوسف قال: "ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر، فاتفق رأينا على أن من قال: القرآن مخلوق فهو

---

(1) رواه أحمد: رقم الحديث: ١٦٥٢١.

(2) رواه أحمد: رقم الحديث: ٢٥٦٥.

(3) سورة آل عمران: ٧.

(4) رواه البخاري: رقم الحديث: ٤١٨٣.

(5) انظر "شرح قصيدة ابن القيم": ج١/ ص ٤٩٧-٤٩٨.

(6) انظر كتاب "السنة" لعبد الله بن أحمد، و"السنة" للخلال، وكتاب اللالكائي، وكتاب "العلو" للذهبي وغيرها كثير.

كافر"[1]. وإنما تناظرا هذه المدة الطويلة إذ لم يرد في المسألة نص صريح من الكتاب أو السنة ولا نقل عن الصحابة فيها"[2].

ورغم هذا فقد اتخذ الإمام أحمد موقفا صارما ممن قال بخلق القرآن، فقد قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله: "سمعت أبي يقول: "من قال أن القرآن مخلوق فهو عندنا كافر""[3]، وقال عبد الله أيضا: "سمعت أبي يقول: من قال ذلك القول لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها، فإن صلى رجل أعاد الصلاة. يعني من قال أن القرآن مخلوق"[4]، وقال الإمام أحمد: "ما أبالي صليت خلف الجهمي[5] والرافض أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يُسلم عليهم ولا يُعادون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم"[6]، بل إن موقفه كان صارما حتى ممن قال أن القرآن مخلوق من العلماء تحت الإكراه، "فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض فسلم عليه فلم يردّ عليه السلام، فما زال يعتذر ويقول: حديث عمار، وقال الله: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾. فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر، فقال يحيى: لا يقبل عذرا. فلما خرج يحيى قال أحمد: يحتج بحديث عمار وحديث عمار مررت بهم وهم يسبونك فنهيتهم فضربوني وأنتم قيل لكم نريد أن نضربكم. فقال يحيى: والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله منك"[7]، فهل يمكن أن يكون مَن موقفه هذا - من المفاصلة وعدم السلام - من العالم المكره أن يساند أو يعاضد من يكره الناس على الكفر، فكيف يصح نسبة مثل هذه الأمور إليه؟!.

هذا فيما نُسب للإمام أحمد، وقد نسب القائلون أيضا مثل هذه الافتراءات لابن تيمية في أنه أجاز القتال وقاتل مع من أظهروا الشرك والكفر البواح، وقد سبق أن فندنا هذه الادعاءات فيما أوردناه من أقوال ابن تيمية في موقفه من القتال مع أمثال هؤلاء، فانظره في الفصل الرابع/ المسألة الرابعة من هذه الرسالة، ولتعلم مدى وهن وضعف الاستناد إلى هذه الروايات في مناطحة الجبال الراسيات من الأدلة التي أوردناها في هذه الرسالة على عدم جواز القتال مع من أظهر الشرك الصراح.

٣ - ولو صح ذلك عن الإمام أحمد فالإمام أحمد على جلالة قدره ورسوخه في العلم إلا أنه في النهاية بشر يخطئ ويصيب، وهو غير معصوم، وكل يؤخذ منه ويرد إلا الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم، كما أن أقوال العلماء يُستدل لها لا يُستدل بها.

٤ ــ لماذا لم يرجع المؤلف إلى المورد الصافي؟!، والثابت الصحيح من موقف خير الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما أرسل أبو بكر رضي الله عنه جيش أسامة إلى قتال الروم، ورغم حاجته إلى القوة والمدد لقتال الروم لم يقف أبا بكر رضي الله عنه مع الذين أظهروا الكفر البواح من مانعي الزكاة وغيرهم، بل لم يسكت عليهم فأعلن الحرب عليهم ولم يقبل منهم

---

(1) "مختصر العلوّ للعليّ الغفار" للذهبي: ص١٥٥، ط المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ.

(2) ما بين القوسين من كتاب "الجامع في طلب العلم الشريف" للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز، ج٢/ ص٤٨٧.

(3) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل: ج١/ ص١٠٢. انظر أيضا: ص١٠١-١٣١

(4) كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل: ج١/ ص١٠٣. انظر أيضا: ج٢/ ص١٠٩-٢١٩.

(5) قال ابن القيم: "وولي على الناس عبد الله المأمون، وكان يحب أنواع العلوم، وكان مجلسه عامرا بأنواع المتكلمين في العلوم، فغلب عليه حب بتعريب كتب يونان، وأقدم لها المترجمين من البلاد فعربت له، واشتغل بها الناس، والملك سوق ما سوق فيه جلب إليه، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل، فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها واستحسنها ودعا الناس إليها وعاقبهم عليها، فلم تطل مدته فصار الأمر بعده إلى المعتصم، وهو الذي ضرب الإمام أحمد فقام بالدعوة بعده والجهمية تصوب فعله" [الصواعق المرسلة: ج٣/ ص١٠٧٢].

(6) **خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل: ص١٣. انظر: ص٧-٢٤.**

(7) نقلا عن الدرر السنية: كتاب الجهاد: ص٥٧-٦٩. والقول للشيخ سليمان النجدي.

أقل من أن يتوبوا عن كفرهم وردتهم وأن يعودوا إلى الإسلام، ويتركوا مناصبهم وأسلحتهم، رغم قلة عدد المسلمين يومئذ في مقابل عدد الروم ومانعي الزكاة ومدعي النبوة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لما توفي النبي صلى اللهم عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله». قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى اللهم عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق"[١].

فهؤلاء الذين يظهرون الكفر ويكون لهم قوة ومنعة ينبغي قتالهم لا القتال معهم، وبدلا من أن نرجع إلى تاريخ غير موثق علينا أن نرجع إلى أهل خير القرون، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم يرى بعدي اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وإن كل بدعة ضلالة»[٢].

بل وحتى كتب السيرة النبوية ليست مصدرا لاستنباط الأحكام الشرعية، إذ أن فيها ما صح وما ضعف إسناده، فقد "شاع في الآونة الأخيرة تأليف كتب بعنوان "فقه السيرة"، ولم يؤلف السلف في هذا الموضوع بهذا العنوان، وذلك لأن كثيرا من أحداث السيرة منقولة بأسانيد ضعيفة إما مرسلة وإما منقطعة لا يحتج بها في الأحكام، أما الأخبار الصحيحة منها فبعضها دخله النسخ. ولهذا لا ينبغي للعوام – فضلا عن أهل العلم – أن يطلقوا لأنفسهم أعنة الاستنباط من أحداث السيرة، إذ وقع خلط كبير من وراء هذا المنهج في هذا الزمان، حتى أصبحنا نرى من يقول نحن الآن في زمان كالعهد المكي لا يجب علينا الجهاد، في حين يجد أهل بلد مجاور في أنفسهم القدرة على الجهاد فتنطبق عليهم أحكام العهد المدني بوجوب الجهاد، فيكون أهل هذا البلد في العهد المكي وأهل البلد المجاور في العهد المدني، أو قد تتبدل العهود على أهل البلد الواحد من حين لآخر، وكل هذه الأعاجيب المضحكة سمعناها هذا الزمان، وسوّد بها صفحات الكتب مؤلفون من العوام وممن لهم انتساب للعلم الشرعي، ولا يوجد في الفقه والأحكام شيء اسمه العهد المكي والعهد المدني، فالشريعة قد اكتملت بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما كان واجبا على المسلمين يوم وفاته فهو واجب عليهم إلى يوم القيامة، فلا يحتج أحد بشيء من أحداث السيرة إلا ما علم صحته، على أن تكون له دراية بقواعد الاستنباط من النصوص"[٣].

بل إن بني قومي قد مشوا إلى أبعد من هذا بكثير، فها هم يستدلون بأحداث تاريخية حدثت في عهود الدولة العباسية وما بعدها، وفي ظروف من الفتن والشقاق والحروب التي اختلط فيها الحابل بالنابل، بل وقد دخلت عليها الروايات من شتى صنوف ودرجات الأسانيد، ثم أرادوا بهذه الأخبار الواهية أن يزعزعوا قواعد الإسلام الراسخة، ويقارعوا نصوص القرآن والسنة، وبدلا من أن يعودوا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج الخلفاء الراشدين المهدين ليتشربوا من المعين الصافي، وليلتمسوا المخرج من الفتن والضلالات، مضوا يقولون: "هؤلاء صحابة أتريدونا أن نكون مثل الصحابة في هذا الزمان؟ نحن إن أصبحنا مثل أيام الدولة الأموية أو العباسية أو العثمانية فذاك ما نريد"، وبهذا زهدوا في الرجوع إلى المنبع الصافي والمعين العذب والمخرج من الفتن والضلال.

---

(1) رواه البخاري: رقم الحديث: ٦٤١٣.

(2) رواه أحمد: رقم الحديث: ١٦٥٢١.

(3) من كتاب "الجامع في طلب العلم الشريف": ج٢/ ص٩٦٩، بتصرف.

وعوضا أن يصلحوا أنفسهم ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ويتبرأوا من أهل الضلالة والزيغ بدأوا يبررون الواقع المنحرف بانحرافات تاريخية سابقة مثيلة، فترى منهم من يبرر قائلا: "إنه خير فيه دخن"، وصحيح أن بذرة الانحراف الضئيلة كانت في ذلك الزمان، لكن فاتهم أن الدخن الذي هو كان بذرة في ذلك الزمان بما يحويه من انحرافات في الدين والمنهج والمعتقد هو الذي أثمر وجر علينا هذه المصائب التي نرزح تحتها الآن، كما فاتهم أن مثل ذلك الدخن لا يجلب إلا مثل هذه الآفات والنكبات التي أصابتنا، ونسوا أن عقيدة الإرجاء التي بدأت في تلك العصور هي التي أدت إلى سيطرة الكافرين علينا ووقوعنا أسرى في أيديهم، ونسوا أن عقيدة الجبر هي التي جعلتنا نسلم ذمام أمورنا للأقدار ولسلطان الكفار دون مقاومة، وكل بدعة وكل شركية وكل ضلالة كانت من دخن الأمس فإنها كانت سببا من أسباب المصائب والبلايا التي حلت بنا في هذا الزمان، ونحن حينما نريد أن ننهض من وقعتنا ونخرج من أمراضنا ومصائبنا فإننا لا يمكن أن ننهض وتلك الجراثيم التي سببت لنا هذه الأمراض وتلك الأسباب التي سببت لنا هذه المصائب ما زالت فينا، كيف يمكننا أن نبني مجدا للإسلام بمعدات هدمه وتخريبه، نحن نريد أن نعالج أمراضنا بالجراثيم التي سببتها لنا، بل ما زلنا ندافع عنها ونقمع من يعاديها ومن يريد تغييرها، ونسينا قوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[١] وقوله: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾[٢].

نريد أن ننهض بالإسلام ونحن خليط من المرجئة والصوفيين والقبوريين ومن الإفرازات الضالة الأخرى، متناسين أن أمثال هؤلاء كانوا سببا لما نحن فيه من الانحراف والضلال والهوان والذل، وكيف يتنزل نصر الله على أمثال هذا الخليط من الضالين والمنحرفين؟!.

نعم ذلك الدخن هو الذي أوصلنا إلى هذا الحال، ولن يزيد ذلك الدخن حالنا إلا سوءً، ولن يزيد مصائبنا إلا ثقلا، ولن تصلح أحوالنا إلا إذا أزلنا ذلك الدخن من قلوبنا وصدورنا وواقعنا ومنهجنا واعتقادنا ومن بيننا، ولنعلم أنه "لن يصلح آخر هذا الزمان إلا بما صلح به أوله"، فلن يعود بأمجاد الإسلام ولن يعلي راية الدين والتوحيد لا متفلسفة ولا مرجئة ولا خوارج ولا قبوريين ولا متصوفة ولا متكلمين ولا متعصبين لرجال أو مذاهب، وإنما سيعود به ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه – فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر – وما بدلوا تبديلا﴾[٣].

فعن حذيفة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى اللهم عليه وسلم: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم **تكون خلافة على منهاج النبوة**»[٤]، فإن خاتمة الأمر والخلاص من الملك الجبري لن يكون إلا على يد خلافة على منهاج النبوة، فكل سعي لإزالة الملك الجبري وإعادة الخلافة الإسلامية لا يلتزم أصحابه بمنهاج النبوة وسيرة الخلفاء الراشدين فهي رايات فاسدة باطلة لا ينبغي القتال تحتها ولن تأتي بخلافة على منهاج النبوة، ولن تعود علينا إلا بالمزيد من الدمار والخذلان، فإن طريق التوحيد حتما لا يمر بالشرك بل لا يأتي إلا بهدمه، وطريق السنة حتما لا يمر بالبدعة بل لا تأتي إلا بهدمها.

---

(1) سورة الأنفال: ٥٣.

(2) سورة الرعد: ١١.

(3) سورة الأحزاب: ٢٣.

(4) رواه أحمد: رقم الحديث: ١٧٦٨٠.

فلعلنا نعود إلى أنفسنا لنلتقط أنفاسنا، ونقيّم واقعنا وأخطاءنا، ولنستفيد مما فات من أخطائنا، ونراجع أنفسنا، ولنتساءل لماذا لا يتنزل نصر الله علينا، لعل الله أن يهدينا لنطوي صفحة قد مضت من أخطاء ومخالفات لشرع الله، ومن ثم نفتح صفحة بيضاء نقية نعاهد الله أن لا نكتب عليها إلا كما شرع، وأن لا نساير في أسطرها فلانا ولا علانا، وأن لا نخط بمدادنا ما نبرر به واقعنا المشوه والمنكوب، وما نخفف به هجمة الكفر الشرسة على الإسلام مقابل تنازلات عن ديننا ومنهجنا واعتقادنا.

فيا ترى هل من عودة صادقة؟!. هل من مجيب؟.

الخاتمة:

كلام في غربة الدين

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

وقال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى﴾.

يقول ابن القيم رحمه الله: "والله تعالى قد بين في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة وسبيل المجرمين مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء وأولياء هؤلاء وأولياء هؤلاء، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء والأسباب التي وفق بها هؤلاء والأسباب التي خذل بها هؤلاء، وجَلىَّ سبحانه الأمرين في كتابه وكشفهما وأوضحهما وبينهما غاية البيان.

فالعَالِمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبانت لهم السبيلان، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم وهم الأدلاء الهداة وبذلك برز الصحابة على جميع من أتى بعدهم إلى يوم القيامة فإنهم نشأوا في سبيل الضلال والكفر والشرك والسبل الموصلة إلى الهلاك وعرفوها مفصلة ثم جاءهم الرسول فأخرجهم من تلك الظلمات إلى سبيل الهدى وصراط الله المستقيم فخرجوا من الظلمة الشديدة إلى النور التام ومن الشرك إلى التوحيد ومن الجهل إلى العلم ومن الغي إلى الرشاد، فعرفوا مقدار ما نالوه فازدادوا رغبة ومحبة فيما انتقلوا إليه ونفرة وبغضا لما انتقلوا عنه وكانوا أحب الناس في التوحيد والإيمان والإسلام وأبغض الناس في ضده عالمين بالسبيل على التفصيل.

وأما من جاء بعد الصحابة فمنهم من نشأ في الإسلام غير عالم تفصيل ضده فالتبس عليه بعض تفاصيل سبيل المؤمنين بسبيل المجرمين فإن اللبس إنما يقع إذا ضعف العلم بالسبيلين أو أحدهما كما قال عمر بن الخطاب: "إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية" هذا من كمال علم عمر رضي الله عنه فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ فإنه من الجاهلية فإنها منسوبة إلى الجهل وكل ما خالف الرسول فهو من الجهل فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تَستَبِن له أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين. كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين والكفار أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين ودعا إليها وكَفَّر من خالفها واستحل منه ما حرمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم ممن ابتدع بدعة ودعا إليها وكفر من خالفها.

والكراهة في هذا الموضع أربع فرق، الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علما وعملا وهؤلاء أعلم الخلق، الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك، الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل. - إلى أن قال - والمقصود أن الله سبحانه يُحب أن تعرف سبيل أعدائه لتجتنب وتبغض كما يحب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار مالا يعلمه إلا الله" اهـ[1].

---

[1] باختصار يسير. الفوائد لابن القيم: ص١٠٨-١١١.

وفي نهاية هذه الرسالة نصل إلى أن المسلمين قد خُدِعوا وانساقوا وراء كثير من رايات قتال غير شرعية، تحمل في طياتها الكفر الصراح، وقاتلوا مع من لا يجوز القتال معهم، فقاتلوا في سبيل المجرمين وهم يحسبون أنهم يقاتلون في سبيل الله، تارة محتجين بدفع الصائل وتارة بالقتال مع كل بر وفاجر وتارة أخرى بالمصالح والمفاسد، وتارة بالسياسة ومستدعياتها، وغير ذلك مما فندناه في هذه الرسالة.

وبهذه الأحاجيج الباطلة رأينا شباب المسلمين تسيل دماؤهم ويُقتلون وهم يدافعون عن راية النظام المصري العلماني المرتد، أو راية الكافر المرتد ياسر عرفات أو حركة حماس[1] (الوطنية) أو راية حزب الله في لبنان في قتالهم ضد اليهود، أو راية صبغة الله مجددي[2] ومن معه من قادة التنظيمات حكمتيار وسياف[3]، أو راية العلماني الذي يدعوا إلى الديمقراطية أحمد شاه مسعود، أو راية حركة طالبان القبورية التي توالي أعداء الله وتحكمهم في قضاياها وتتزلف للانضمام إلى الأمم الملحدة (المتحدة)، أو راية النظام السعودي الأمريكي في قتاله ضد العراق أو راية المرتد صدام حسين ضد النظام السعودي أو ضد إيران، أو راية العلماني الآخر علي عزت بيكوفيتش في قتاله ضد الصرب، أو راية المرتد عيديد الصومالي في قتاله ضد الأمريكان، أو راية العلماني مسخادوف في قتاله ضد الروس، أو راية المرتد علي عبد الله صالح حاكم اليمن في قتاله ضد اليمن الجنوبي[4]، أو القتال مع النظام السوداني الكافر ضد النصارى في الجنوب، أو راية الإخوان وحليفهم صدام في قتالهم ضد النظام السوري المرتد، أو راية الحركة الإسلامية!! في كردستان[5]، وقبل ذلك الثورة الجزائرية والثورة الليبية، وهلم جرا، مما جعل جهود المسلمين وأرواحهم وأموالهم تذهب في تمكين أولياء أعداء الله، وتمكين من يكيل عند نصره للمسلمين الضربات، ونجني بعدها الشوك والعلقم، ثم نجد أنفسنا من جديد بين أيدي طواغيت، ونعود ثانية إلى نقطة الصفر، لكننا وللأسف لا نعتبر، ولا نتعلم الدرس، بل نتمادى في أخطائنا ونصرّ عليها، بل نحارب من أراد تقويمها، وذلك سبب خذلان الله لنا. وتشتد بعدها المحنة، ويزداد جراحنا فتقا، ويزداد حالنا سوءا، وتتفاقم أزماتنا، فندعو الله فلا يستجاب لنا، وأنى يستجاب لنا ونحن عن هديه غافلون، وعن صراطه ناكبون، ولأمره مخالفون، تحكمنا أهواؤنا، نريد حروبا جاهزة نركبها، وواقعنا يملي علينا شروطه، فنتبعه بدل أن نستعلي عليه، وذلك لقلة صبرنا، وضعف إيماننا، ولأننا لم نفهم حقيقة الإيمان بالله حتى نؤمن به كما يجب، ولأننا لم نفهم حقيقة الكفر بالطاغوت حتى نجتنبه كما يجب.

والقتال مع أمثال هذه الرايات لا تثمر نصرا في الدنيا، ولا أجرا في الآخرة[6]، فالواجب علينا شرعا أن نجتنب مثل هذه الرايات الباطلة، وأن نصبر على مفارقتها ومفاصلتها، ولو أن نعض بأصل شجرة حتى يدركنا الموت ونحن على ذلك، فهؤلاء دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها، كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان يقول: "قلت: فهل بعد ذلك الخير من

---

(1) وحسبنا هنا أن نذكر ما يقوله هؤلاء عن علاقتهم بالسلطة الفلسطينية المرتدة، حيث يقولون أن الدم الفلسطيني محرم.

(2) وهذا الرجل يؤمن أن الكون يسيره أربعة أقطاب من الأولياء.

(3) قال سياف: "نطالب الأمم المتحدة بتشديد حصاره على حركة طالبان" [تصريح صحفي نشرته الجماعة الإسلامية المقاتلة في إحدى نشراتها]، وقد حقق سياف هذا وأحمد شاه مسعود ومن ورائه المعارضة الأفغانية رقما قياسيا في الكفر والخذلان، فلا أدري كيف استساغت هذه المخلوقات الرديئة أن يحاصر الشعب الأفغاني بأطفاله ونسائه وشيوخه، وأن يطالبوا الأمم المتحدة بمزيد من المعاناة لشعوبهم، ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾.

(4) وذلك بحجة دفع أكبر الضررين.

(5) وهم تارة يتحالفون مع بارازاني وتارة مع طالباني ويشاركون في العمل الديمقراطي، والله المستعان.

(6) كما ورد في شروط قبول العمل في مقدمة هذه الرسالة، وفي قول ابن تيمية الذي أوردناه في الفصل الرابع/ المسألة الرابعة.

شر؟. قال: «نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت: يا رسول الله صفهم لنا. فقال: «هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟. قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟. قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»"[1].

"قلت: فهؤلاء من جلدتنا أي ظاهرهم الإسلام، ويتكلمون بألسنتنا أي بالإسلام والكتاب والسنة، ومن أجابهم واتبعهم قذفوه في جهنم. قلت: فلا بد أن تكون القيادة في العمل الإسلامي إسلامية من الجلد إلى النخاع"[2]، وإلا ينبغي الاجتناب والمفارقة، وعدم القتال مع تلك الرايات الباطلة، وقد قال ابن حجر في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: «فاعتزل تلك الفرق كلها»: "وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابا فلا يتبع أحداً في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر"[3].

ولكن على الرغم من هذا فإننا نؤمن أنه لا تزال طائفة مؤمنة مجاهدة من هذه الأمة، تعرف الحق وتتبعه، وتأمر به وتجاهد فيه، وهذه الطائفة لا تنقطع إلى أن يقاتل آخرهم الدجال، وهي المعروفة بالطائفة المنصورة، وقد بوب البخاري لهذا بابا سماه: "باب قول النبي صلى اللهم عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم"، وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله: سمعت النبي صلى اللهم عليه وسلم يقول: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون **على الحق** ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم صلى اللهم عليه وسلم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة»[4].

وعن جابر بن سمرة عن النبي صلى اللهم عليه وسلم أنه قال: «لن يبرح هذا **الدين قائما يقاتل عليه** عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»[5].

وعن عمير بن هانئ أنه سمع معاوية قال سمعت النبي صلى اللهم عليه وسلم يقول: «لا يزال من أمتي أمة **قائمة بأمر الله** ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»[6].

وعن سلمة بن نفيل الكندي قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى اللهم عليه وسلم فقال رجل: يا رسول الله أذال الناس الخيل ووضعوا السلاح وقالوا لا جهاد قد وضعت الحرب أوزارها. فأقبل رسول الله صلى اللهم عليه وسلم بوجهه وقال: «كذبوا الآن الآن جاء القتال ولا يزال من أمتي أمة **يقاتلون على الحق ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم** حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحى إلي أني مقبوض غير ملبث وأنتم تتبعوني أفنادا يضرب بعضكم رقاب بعض وعقر دار المؤمنين الشام»[7].

وهذه الأحاديث تُخصص الطائفة المنصورة من الطوائف التي ورد الأمر باعتزالها وعدم نصرتها، فقد قال ابن حجر: "قال ابن بطال: هذا الحديث وما أشبهه ليس المراد به أن الدين ينقطع كله في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء، لأنه ثبت أن الإسلام يبقى إلى قيام

---

(1) صحيح البخاري: حديث رقم: ٣٣٣٨.

(2) العمدة في إعداد العدة: ص٤٦٠. (في آخر الكتاب).

(3) فتح الباري: ج١٣/ ص٣٧.

(4) رواه مسلم: حديث رقم: ٢٢٥.

(5) رواه مسلم: حديث رقم ٣٥٤٦.

(6) رواه البخاري: حديث رقم: ٦٩٠٦.

(7) رواه النسائي: حديث رقم: ٣٥٠٥.

الساعة، إلا أنه يضعف ويعود غريبا كما بدأ. ثم ذكر حديث «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق» الحديث، قال: فتبين في هذا الحديث تخصيص الأخبار الأخرى"[1].

قال الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز: " فهذه طائفة قائمة بأمر الدين تقاتل عليه، موعودة بالنصر والظهور، مُبَشَّرة بأنها لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، باقية بلا انقطاع من لدن رسول الله ﷺ إلى أن يقاتل آخرها الدجال مع عيسى عليه السلام. فهل يأمر النبي ﷺ المسلمين باعتزال هذه الطائفة القائمة بأمر الدين؟! ولذلك فنحن نقول إنه إذا حُمِلَ قوله ﷺ: «فاعتزل تلك الفرق كلها» على العموم، فإنه مُخَصَّص بهذا الحديث كما أنه مُخَصَّص بحديث الفرقة الناجية، فإذا افترق الناس شيعا - في غيبة الإمام - فينظر المسلم أي الفرق تَتَّبِعُ منهج الفرقة الناجية وتقوم بحمل أمانة هذا الدين وتجاهد على ذلك فيلتزمها"[2].

فالأصل في مثل هذه الأحوال الاعتزال والحذر من الانخراط في رايات فاسدة، والحالة الخاصة هو أن يجد المسلم الطائفة المنصورة فيتبعها ويقاتل تحت رايتها، وهذه الطائفة – وكما ورد في الأحاديث – تكون «على الحق» الذي هو هذا الدين بتوحيده الخالص لله تعالى اهتدوا إليه وعملوا به فهي «قائمة بأمر الله»، إذا رأيتهم تجد عندهم «هذا الدين قائما يقاتل عليه» رجالهم، فهم يلتزمون بشرعه وقواعده لا تسيّرهم أهواؤهم ولا مصالحهم خلاف أمر الله تعالى، وفي قوله صلى الله عليه وسلم «ويزيغ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منهم» إشارة إلى أن هذه الطائفة ستقاتل المرتدين وتغنم أموالهم، وفي قوله «طائفة» إشارة إلى أن هؤلاء قلة وغرباء، لكن لا تضرهم غربتهم ولا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم كما ورد في الحديث.

فمثل هذه الجماعة أو الطائفة ينبغي الانخراط فيها واتباعها والقتال تحت رايتها، ومن لم يجد مثل هذه الجماعة فليعتزل الجماعات المنحرفة والرايات الفاسدة، وليصبر على ذلك، وليبق على الحق الذي علمه وليدع إليه وليعمل على نشره وتجميع المسلمين عليه، وليُعد للأمر عدته من علم بالشرع وعلم بالواقع وعلم بالحرب والقتال، وليعد للجهاد في سبيل الله تعالى عدته، وليعلم أنه وإن حاربه الناس وهجروه، وإن بقي وحده فهو الجماعة وهو المصيب في غربته، قال ابن القيم رحمه الله: "وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب الحوادث والبدع "حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق وأتباعه، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيرا" لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل البدع بعدهم. قال عمرو بن ميمون الأودي رضي الله عنه: "صَحِبْتُ معاذاً اليمن، فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول: سَيَلِي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصَلّوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة، قال قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري: ما تحدثونا؟ قال: وما ذاك؟. قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها. ثم تقول: صلي الصلاة وحدك، وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة؟ قال: يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور الجماعة: الذين فارقوا الجماعة. الجماعة ما وافق الحق، وإن كنت وحدك" وفي طريق أخرى "فضرب على فخذي وقال: ويحك، إن جمهور الناس فارقوا الجماعة. وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عزّ وجل"، وقال نُعيم بن

---

[1] فتح الباري: ج١٣/ ص٧٦،٧٧ و ذكر مثل ذلك في ج١٣/ ص١٩.

[2] من كتاب "العمدة في إعداد العدة": الباب الثالث/ الإمارة.

حماد: "يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ" ذكره البيهقي وغيره"[1].

نعم كن على الحق ولو كنت وحدك، وتجرع غربتك في هذا الزمان، فإنك حين تعرف قدر الحق الذي تحمله ستجد أن آلام غربتك وغصصها تصبح لذة تنعش قلبك، وتذكرك بغربة الدين عند ابتدائه، وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام فيه، وعندها يتعلق قلبك فقط بالله الواحد القهار.

فإياك إياك أخي المسلم أن يغرك كثرة الضالين الناكبين عن الصراط وقلة السالكين، فهذا الدين دين القليلين، وتذكر غربة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتذكر غربة أئمة وأعلام هذا الدين، ثم انظر ماذا سيكون لك من النعيم إن جمعك الله بهم في جنات الخلد.

وقد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فتبين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة، وفيه أيضا أنه فهم المراد من التوحيد وفهم أنه أمر كبير غريب، ولأجل هذا قال: من معك على هذا؟! قال: حرّ وعبد. فأجابه: إن جميع العلماء والعباد والملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون مع أقل القليل وأن الباطل قد يملأ الأرض.

ولله در الفضيل بن عياض - رحمه الله – حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين. وأحسن منه قوله تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾، وفي الصحيحين أن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة، وفي الجنة واحد من كل ألف، ولما بكوا من هذا لما سمعوه قال صلى الله عليه وسلم: «إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين» قال الترمذي حسن صحيح. فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام ومن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ثم ضم إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال: "بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ" تبين له الأمر أن هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية ﴿فما بال القرون الأولى؟﴾ والحجة القرشية ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾"[2].

وقال أيضا: "ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يُعقبوا وارثا. وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذ نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية". هذا لأنه إذا لم يُعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأقره وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية، فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان"[3].

---

(1) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ص٨٣،٨٢ لابن القيم ط دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ.

(2) المفيد والمستفيد: ص٨-٩.

(3) المفيد والمستفيد: ص٢٤-٢٥.

وقال أيضا رحمه الله: "وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرّد التوحيد لله وعادى المشركين في الله وتقرّب بمقتهم إلى الله"[1].

وقال رحمه الله: "قال مالك: وبلغني أن أبا هريرة رضي الله عنه تلى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ فقال: والذي نفسي بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا.

قف تأمل رحمك الله إذا كان هذا في زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة فكيف يغتر المسلم بالكثرة أو تُشكل عليه أو يستدل بها على الباطل. (ثم روى ابن وضاح بإسناده) عن أبي أمية قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت يا أبا ثعلبة: كيف تصنع في هذه الآية؟. قال: أية آية؟. قلت: قول الله تعالى: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾. قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله». قيل: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟!!. قال: «أجر خمسين منكم». ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "طوبى للغرباء" ثلاثاً. قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء؟. قال: «ناس صالحون قليل في أناس سوء كثير، من يُبغضهم أكثر ممن يحبهم»، أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طوبى للغرباء الذين يتمسكون بكتاب الله حين يُنكر ويعملون بالسنة حين تطفى» أخبرنا محمد بن يحيى أخبرنا أسد بإسناده عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بدأ الإسلام غريبا ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس، ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس» – إلى أن قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله –:

هذا آخر ما نقلته من كتاب البدع والحوادث للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله. فتأمل رحمك الله أحاديث الغربة وبعضها في الصحيح مع كثرتها وشهرتها، وتأمل إجماع العلماء كلهم، إن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم – رحمه الله -: "الإسلام في زماننا أغرب منه في أول ظهوره" فتأمل هذا تأملا جيداً لعلك أن تسلم من هذه الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس، وهي الاقتداء بالكثرة والسواد الأكبر والنفرة من الأقل، فما أقل من سلم منها ما أقله ما أقله!!.

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بنن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره» وفي رواية «يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» انتهى ما نقلته والحمد لله رب العالمين"[2].

---

(1) المفيد والمستفيد: ٢٧.

(2) مفيد المستفيد: ص ٦٠-٦٨.

وقال ابن القيم نظما في نونيته:

لا توحشنك غربة بين الورى | فالناس كالأموات في الحسبان
أو ما علمت بأن أهل السنة | الغرباء حقا عند كل زمان
قل لي متى سلم الرسول وصحبه | والتابعون لهم على الإحسان
من جاهل ومعاند ومنافق | ومحارب بالبغي والطغيان
و تظن أنك وارث لهم وما | ذقت الأذى في نصرة الرحمن

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم المرسلين

الملحق (١):

حقيقة الديوبندية[1]

- **قال شمس السلفي الأفغاني في كتابه "الماتريدية"[2]:**

وأما الديوبندية: فلهم أغصان وأفنان، وهم ضروب وألوان: فمنهم من هو أقرب شيء إلى أهل السنة والتوحيد كالجماعة الفنجفيرية ومن على شاكلتهم، فلهم مساع جميلة في محاربة كثير من البدع والشركيات شكر الله مساعيهم لولا ما عندهم من عقيدة ماتريدية والتعصب المذهبي المقيت وتحريف الأحاديث الصحيحة الصريحة نضالا عن مذهبهم الحنفي كالكوثرية.

وأما غلاة الديوبندية فلهم شعبتان:

الأولى: شعبة التربية والتبليغ، وهي المعنية بجماعة التبليغ.

فجماعة التبليغ كما أنهم ديوبندية أقحاح كذلك ماتريدية أجلاد، ويحملون أفكارا صوفية خطيرة وبدعا قبورية كثيرة مع فوائد عملية وفيرة، فقد ألف الشيخ العلامة محمد زكريا رحمه الله كتبا كثيرة تعد منهجا لجماعة التبليغ يسيرون عليه ويهتدون[3] مع أن تلك الكتب مكتظة ببدع وخرافات وتبركات ما أنزل الله بها من سلطان، فهذه الكتب دليل قاطع على أن هذه الجماعة مبتدعة تحمل أفكارا قبورية كثيرة خطيرة[4].

الثانية: شعبة التدريس والتعليم:

وغالب رجال هذه الشعبة أئمة في جميع العلوم النقلية والعقلية وقد أعطاهم الله أذهانا وقادة ومكانة مرموقة في الزهد لا أستطيع وصفها.

وكثير منهم حاربوا كثيرا من البدع والشركيات وهم حرب على البريولية وهذا من حسناتهم التي لا تنسى، ولكنهم مع هذا كله صوفية أصلاب ماتريدية أجلاد يحملون بدعا قبورية خطيرة كثيرة تدل على غفلة شديدة عن حقيقة التوحيد، وحقيقة ما يضاده من الشرك ووسائله. وهم أعداء لأهل الحديث متعصبون كالكوثرية.

وهذا في الحقيقة وقوع في نوع من التناقض الواضح الفاضح.

---

(1) وهذه العقيدة التي تتبناها حركة طالبان الأفغانية وعلماؤها وقادتها، فهم ديوبندية ماتريدية صوفية.

(2) شمس السلفي الأفغاني صاحب كتاب "الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات"، وهي رسالة ماجستير أشرف على مناقشتها كل من:

١ ــ الدكتور صالح بن عبد الله العبود.

٢ ــ الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

٣ ــ عبد الكريم بن مراد الأثري.

والمناقشان هم الأخيران.

(3) كما صرّح به البنوري في مقدمته لأوجز المسالك: ص٩، وانظر ما سبق: ج١/ ص٢٦٥.

(4) انظر على سبيل المثال "فضائل الحج": ص١٠٢-١٠٤، ١٣١، ١٣٣-١٨١، ١٨٢-١٨٢، ٢١٣ وغيرها، و"فضائل درود (فضائل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم" ضمن تبليغي نصاب (نصاب التبليغ ومنهجه): ص١٢٦، ١٣٨، ١٥٠-١٥١، ومن يشك في ذلك كبعض إخواننا العرب فليترجموا تلك الصفحات، ليطلعوا على عجب العجاب وليرجعوا إلى سراج للهلالي وجماعة التبليغ لمحمد أسلم فإكبار الفنجفيري لهم في تحفته: ٢٩١-٢٩٧ دليل على فساد توحيده.

وإني سأذكر بعض النماذج الصوفية الخرافية القبورية عن كتبهم المعوّل عليها عندهم مع احترامي لرفيع مكانتهم في الزهد والتأله والعبادة والتقوى.

واستحيائي من علو قدرهم في العلوم العقلية والنقلية، ولكن لا ماحاباة في الباطل، فالحق أحق بأن يقال بدون مجاملة للعبرة والإصلاح لا للتعبير والإفساد. – إلى أن قال –:

وإليك بعض تلك النماذج:

١ – إن العلامة المحدث الفقيه خليل أحمد السهارنفوري أحد كبار أئمة الديوبندية (١٣٤٦هـ) ومؤلف "بذل المجهود شرح سنن أبي داود"، قد ألف كتابا يعد أهم كتب الديوبندية في العقيدة على الإطلاق. وعليها توقيعات وتقريضات لخمسة وستين عالما من كبار العلماء الديوبندية وغيرهم، والكتاب مطبوع بعنوان "المهند على المفند" باللغة العربية وقد تُرجم قريبا إلى اللغة الأردية أيضا، وهذا يدل على أن القوم على العقائد القديمة الخرافية، فهم الآن على ما كانوا عليه قبل الآن.

والكتاب مكتظ بالبدع والخرافات القبورية الصوفية.

٢ – ومما قال في هذا الكتاب: ''إنا بحمد الله ومشائخنا وجميع طائفتنا مقلدون للإمام أبي حنيفة في الفروع ومتبعون لأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي في العقيدة منتسبون إلى الطرق الأربعة الصوفية العلية''[1].

٣ – وقال: ''يستحب مبايعة شيخ راسخ القدم ويضع يده في يده ويحبس نظره في نظره ويشتغل بأشغال صوفية من الذكر والفكر والفناء الكلي.

ويصح الاستفادة من روحانية المشائخ ووصول الفيوض من صدورهم وقبورهم على الطريقة المعروفة عندهم لا بما هو شائع في العوام''[2]. قلت: ما عند أئمة الديوبندية فهو أشنع مما عند العوام[3].

٤ – يعاكسون سلف هذه الأمة وأئمة السنة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فيقولون: ''الزائر ينوي زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ويجرد النية لزيارة قبره صلى الله عليه وسلم، وتكون زيارة مسجده صلى الله عليه وسلم تبعا لأن في ذلك زيادة تعظيم وإجلال له صلى الله عليه وسلم.

وأما ما قالته الوهابية من أن الزائر ينوي زيارة المسجد تكون زيارة القبر تبعا، فمردود، والمختار أن يستقبل الزائر قبره صلى الله عليه وسلم في الدعاء''[4].

قلت: المردود بدعة الخلف والمقبول سنة السلف.

٥ – بدعة حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره حياة دنيوية.

عامة الديوبندية يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة دنيوية بجسده العنصري لا حياة برزخية.

وأنه صلى الله عليه وسلم يصلى في قبره بأذان وإقامة.

---

(1) المهند: ٢٩-٣٠، وقد ألف الشيخ العلامة حسين أحمد المدني (١٣٧٧هـ) مؤلف "الشهاب الثاقب" المكتظ بالبدع والخرافات كتابا بعنوان "أهمية السلوك والتصور في الإسلام" باللغة العربية، مطبوع لا يخفى خطر هذا الكتاب مع خطر الشهاب الثاقب وبهذا وغيره يتبين حقيقة توحيد الديوبندية.

(2) المهند: ٤٤-٤٥.

(3) من خرافات وحدة الوجود ولقاء الأموات يقظة.

(4) المهند: ص٣٤-٣٥، ٤١، وانظر "فضائل حج" للشيخ زكريا: ٢٠٤، إمام جماعة التبليغ الديوبندية.

وأن خروجه صلى الله عليه وسلم من الدنيا انعزال كانعزال المعتكف أربعين يوما مثلا، ولذلك لا يجوز لأحد نكاح أزواجه صلى الله عليه وسلم.

قلت: لا تخفى عواقب ضارة لهذه العقيدة، فقارن هذه العقيدة بعقيدة البريلوية، فالديوبندية في هذه العقيدة بريلوية محضة[1].

٦ ـ التبركات البدعية والشركية.

عند الديوبندية شيء كثير من التبركات البدعية كالتبرك بالحجرة الشريفة والغلاف وتمور المدينة ونواها وتراب الحجرة، بل بقماش المدينة المنورة، وثيابها، بل التبرك بالزيت المحروق وشربه للتبرّك[2].

والتبرك بقبره صلى الله عليه وسلم وموضع جلوسه وما مسّته يده وما مرّت عليه قدمه، وكذا المنبر[3].

٧ ـ الاستفاضة من القبور.

جمهرة الديوبندية على جواز حصول الفيض من القبور وأهلها بعد موتهم[4] مع أنهم يعترفون أن الاستفاضة من أهل القبور ليست من طريقة السلف، ولكن قالوا: "تجوز لأنها ثابتة عند أرباب الحقائق"[5] يعنون الصوفية الخرافية، فأرباب الحقائق مصدر جديد لتلقي العقيدة؟!.

٨ ـ المراقبة عند القبور، ولا يخفى ضرر هذه المراقبة.

وفيما يلي قصة حول كبار أئمة الديوبندية:

قال الشيخ محمد عاشق إلهي الميرتهي الهندي الديوبندي[6]:

"كنت أنا والشيخ حكيم الأمة أشرف علي التهانوي رحمه الله (١٣٦٢هـ)[7] يوما مع الشيخ خليل أحمد السهارنفوري مؤلف "بذل المجهود" و"المهند على المفند" (١٣٤٦هـ)، فحضرنا قبر شيخ الطائفة الصوفية "خواجة الأجميري" (٦٢٧هـ)[8].

وكان الزائرون يطوفون حول القبر ويسجدون له[9].

ولما وصل الشيخ خليل أحمد السهارنفوري إلى قبره جلس مراقبا، واستغرق في المراقبة إلى حدّ لم يعلم ما جرى وما يجري مع أن الجلوس أمام القبر كان يُعتبر سوء أدب عند العاكفين المطوّفين القائمين على هذا القبر.

ولذلك رموه بأنظارهم غضبا عليه من النواحي الأربعة، وكاد أن تكون فتنة، والشيخ لم يعلم ذلك لاستغراقه في المراقبة.

فقيل للشيخ حكيم الأمة التهانوي: لو نبّهت الشيخ ليقوم، فقال: ما عندي جرأة في هذه الحالة. لأن أكون مخلا بينه وبين مراقبته.

---

(1) أنظر البريلوية: ٨٠-٨٢ للعلامة إحسان إلهي ظهير رحمه الله.

(2) أنظر الشهاب الثاقب: ٥٢، ٥٣، ٥٤ للشيخ الهند حسين أحمد.

(3) فضائل حج: ١٠٤، وانظر: تذكرة الخليل: ٣٦٩، ٣٧٠.

(4) المهند: ٤٥.

(5) فيض الباري: ج٣/ ص٤٣٤، الحاشية.

(6) لم أجد ترجمته مع كونه معروفا من كبار الديوبندية.

(7) هو من كبار أئمة الديوبندية. ملقب بـ"حكيم الأمة" عالم كبير صوفي عظيم ترجمته في "نزهة الخواطر": ج٨/ ص ٥٧-٥٨، و"تشنيف الأسماع": ٩٧.

(8) هو معين الدين الجشتي إمام الصوفية الجشتية، قبره وثن يعبد، انظر ج١/ ص١٧٥ وما في ج٣/ ص٢٧٤-٢٧٥.

(9) قلت: هذا اعتراف واضح بوجود الشرك الأكبر في المنتسبين إلى الإسلام، وتكذيب لأمثال الكوثري والعلوي المالكي وكان يجب عليهم إنكاره، ولكن ....؟!!.

ثم أفاق الشيخ السهارنفوري من المراقبة وقام، وذهبنا جميعا، ثم قصصنا عليه قصة الفتنة وغضب هؤلاء العاكفين القائمين على القبر.

فقال الشيخ السهارنفوري: لم أعلم بشيء من ذلك، هل أخبرتموني لو كان الأمر كذلك"[1].

قلت: أترك المجال للقراء الكرام أن يتدبّروا هذه القصة ويعلقوا عليها.

٩ ـ ظهور الميت وإتيانه بعد موته بزمان طويل حيا بجسده العنصري يقظة.

لقد نسجت الديوبندية عجائب الأساطير حول هذه الخرافة، وفيما يلي بعض الأمثلة:

أولا: ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بجسده العنصري بعد موته بزمان:

لقد سبق أن التفتازاني (٧٩٢هـ) ادعى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وأنه تفل في فيه فتضلع علما ونورا.

وهكذا نرى الشيخ زكريا الملقب بشيخ الحديث أحد أئمة الديوبندية وشيخ جماعة التبليغ قد ذكر قصة خرافية مشتملة على ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل توفيت أمه فاسود وجهها وانتفخ بطنها، فدعى الرجل فظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح وجهها وبطنها فزالت المصيبة[2].

ثانيا: خروج يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبر:

قد ذكر شيخ جماعة التبليغ (شيخ الحديث محمد زكريا) رحمه الله وسامحه قصة خرافية قبورية أخرى.

وهي: أن الشيخ أحمد الرفاعي[3] لما جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم قام مقابل القبر الأظهر وأنشد هذين البيتين:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها	تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت	فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من قبره فقبّلها الرفاعي.

وقد شاهد هذه القصة جمعا يقارب (تسعين ألف شخص) ومنهم المحبوب السبحاني القطب[4] وكلهم شرّفوا بزيارة يده صلى الله عليه وسلم"[5].

ثالثا: أسطورة أخرى: متعلق بظهور الشيخ محمد قاسم النانوتوي إمام الديوبندية، ومؤسس جامعة ديوبند (١٢٩٧هـ) بجسده العنصري بعد موته بسنين كثيرة. ونص القصة:

أنه قد وقعت مشاجرة بين مدرسي جامعة ديوبند، واستمرّت مدة حتى اشترك فيها الشيخ محمود الحسن صدر المدرسين بجامعة ديوبند الملقب بشيخ الهند (١٣٣٩هـ).

فجاء الشيخ محمد قاسم النانوتوي إمام الديوبندية بجسده العنصري بعد موته بسنين إلى غرفة الشيخ رفيع الدين رئيس جامعة ديوبند فقال له: "قل لمحمود الحسن: لا تقع في هذه المخاصمة".

---

(1) "تذكرة الخليل للشيخ محمد عاشق إلهي الميرتهي الديوبندي": ص٣٧١-٣٧٢.

(2) "فضائل درود" ضمن "تبليغي نصاب": ص١٣٨.

(3) هو أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي المغربي البطائحي إمام الصوفية الرفاعية (٥٧٨هـ)، كان في نفسه حسن السيرة ولكن أتباعه مردة ضلال. راجع سير أعلام النبلاء: ج٢١/ ص٧٧-٨٠.

(4) القطب: من مصطلحات أهل البدع الصوفية الخرافية القبورية، وهو عندهم: عبارة عن الواحد الذي هو موضوع نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وهو الغوث أيضا. ["تعريفات الجرجاني": ص٣٣٧].

(5) "فضائل حج": ص ١٣٠-١٣١، "فضائل درود" ضمن "تبليغ نصاي": ص١٥١.

فدعا الشيخ رفيع الدين محمود الحسن فقال له: الآن حضر الشيخ النانوتوي إلي بجسده العنصري، وقال لي: "قل لمحمود الحسن: لا تقع في هذه المخاصمة".

فقال الشيخ محمود الحسن للشيخ رفيع الدين: "سيدي الآن أتوب على يديك، وبعد هذا لا أتكلم حول هذه المخاصمة أبدا".

وقد أيد هذه القصة من يلقب عندهم بحكيم الأمة أشرف علي التهانوي (١٣٦٢هـ) وزاد عليها من عند نفسه تعليقا مضرا جدا، لإثبات التصرّف للأرواح فزاد الطين بلة، وراوي هذه القصة هو الشيخ القاري محمد طيب رئيس جامعة ديوبند أحد كبار أئمة الديوبندية المعاصرين[١].

قلت: أترك المجال للقراء ليعلقوا على هذه الأسطورة التي صدرت عن كبار أئمة الديوبندية.

فقد تضمنت علم الغيب لأرواح المشايخ، وتصرفها في الكون.

١٠ – التصرف في الكون وسماع كلام الله بالفارسية مباشرة من الله تعالى.

قال الشيخ محمد قاسم النانوتوي رحمه الله (١٢٩٧هـ)، إمام الديوبندية الأول، ومؤسس جامعة ديوبند[٢]:

إن خواجة أحمد جام كان مشهورا مستجاب الدعوات فجاءته امرأة بابن عم لها أعمى فقالت: امسح بوجهه وردّ عليه بصره.

قالت ذلك ثلاث مرّات أو أربعاً.

وكان هذا الولي يقول لها: "أنا لست أهلا لذلك".

فلما ألحّت المرأة وأصرّت على طلبها قام هذا الولي من مجلسه قائلا:

إن هذا الفعل يليق بعيسى عليه السلام، ولست أهلا لذلك.

فجاءه إلهام من الله تعالى وقال الله تعالى له:

"من أنت؟ ومن عيسى؟ ومن موسى؟ ارجع وامسح وجه ابن هذه المرأة".

وقال الله تعالى له أيضا باللغة الفارسية: "ما ميكنم"[٣] فلما سمع هذا الولي قول الله تعالى: "ما ميكنم" [بالفارسية بحرف وصوت]. رجع قائلا: "ما ميكنم، ما ميكنم" ويكرره، ومسح على وجه ابن تلك المرأة فبرأ ورجع بصره!!.

ثم علق الإمام النانوتوي على هذه القصة ما يلي:

إن الحمقى من الناس يزعمون أن كلمة "ما ميكنم" كلام هذا الولي نفسه، كلا بل هو قول الحق تعالى، فكان هذا الولي يردّد قول الحق تعالى مرارا وتكرارا بلذة هذا الإلهام.

كما أن أحدا من الناس يردد شعر أحد الشعراء يتلذّذ به[٤].

قلت: معاذ الله من خيال صوفيّ، وقياس فلسفي.

انظر أيها المسلم كيف جعل هذا الإلهام وقوله بالفارسية "ما ميكنم" كلام الله تعالى مباشرة وسمعه هذا الولي من الله مباشرة؟!؛

---

(1) انظر هذه الأسطورة في "أرواح ثلاثة": ٢٦١، وهذا الكتاب من أهم كتب الديوبندية.

(2) لقبوه برئيس المتكلمين والإمام الفيلسوف، ألف الشيخ مناظر أحسن الكيلاني في ترجمته كتابا حافلا سماه "سوانح قاسمي" وهو مليء من الأفكار القبورية، راجع ترجمته في "نزهة الخواطر": ج٧/ ص٣٩١-٣٩٣، وانظر ما تقدم في ج١/ ص٢٦٤.

(3) جملة فارسية معناها: أنا أفعل.

(4) أرواح ثلاثة: ٢٢٦-٢٢٧.

مع أن الماتريدية يعتقدون أن القرآن مخلوق وأنه ليس كلام الله حقيقة، بل هو دال على كلام الله لأن كلام الله ليس بحرف وصوت، ولم يسمع كلام الله تعالى أحد من خلقه، لا محمد صلى الله عليه وسلم ولا موسى عليه السلام، ولا جبريل عليه السلام[1].

أما هذا الولي فقد سمع هذه الجملة الفارسية "ما ميكنم" من الله مباشرة!، وهذا كلام الله على الحقيقة! وإنما الولي ردّده على لسانه كما يردد أحدنا شعرا لأحد الشعراء.

مع أن هذا من حجج أهل السنة لإثبات صفة الكلام.

١١ – تصرّف الأولياء الكرام: في الكون من نصر أوليائهم وتدمير أعدائهم.

قالوا: "وقد تواتر عن كثير من الأولياء: أنهم ينصرون أولياءهم ويدمّرون أعداءهم"[2].

١٢ – وقالوا في "الترغيب في زيارة قبر الأولياء": "فإن للصالحين مددا ظاهرا بالغا لزوّارهم بحسب أدبهم"[3].

١٣ – ولذا لقبوا الشيخ عبد القادر الجيلاني الحنبلي (٥٦١هـ) بغوث الثقلين والقطب الرباني[4].

١٤ – الاطلاع على المغيبات الكونية والاطلاع على وساوس القلب.

في كتب الديوبندية شيء كثير من هذا القبيل ادّعوه ونسجوه في صدد إجلال أئمتهم[5].

١٥ – أما التوسّل بالأولياء أحياء وأمواتاً، فحدّث ولا حرج، فهو شيء من صميم عقيدة الديوبندية[6].

١٦ – ويذكرون أن التوسّل بالأولياء أحياء وأمواتا من المسائل التي أنكرها الوهابية[7]، مع اعترافهم بأن توسّل السلف غير توسّل الخلف، فقد كان توسّل السلف توسّلا بدعاء الحي، والحي كان يدعو للمتوسّل، ولكن توسّل الخلف ثابت عند أرباب الحقائق[8].

قلت: هذا اعتراف واضح، ولكنه فاضح.

١٧ – عداوتهم الرهيبة للإمام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمه الله تعالى خاصة وللسلفيين عامّة.

ويذكرونهم – حسب عادة أهل الأغراض والأمراض – بلقب "الوهّابية"، ثم يقولون: "الوهابية الخبيثة، الخبثاء"[9].

١٨ – وينبزونهم بالفرقة الزائغة، ويرمونهم بالتشكيكات والتلبيسات، والجهل، والضلال، وأن ابن القيم هو الأب لهذه الفرقة[1].

---

(1) انظر ما سبق (من هذا الكتاب): ج٣/ ص٧٣-٨٢، ج١/ ص٤٢٣-٤٢٦، ج٣/ ص ١٢٣.

(2) "البصائر" للداجوي القبوري الديوبندي: ١٢، ١٦، وأصل هذه المقالة الماكرة الفاجرة في "المطهري": ج١/ ص ١٥٢، فما الفرق بين الداجوي والتبليغية!.

(3) حاشية الشيخ المحدث نصير الدين الغورغوشتوي الديوبندي على مشكاة المصابيح: ج١/ ص١٦٩، نقلا عن الشيخ عبد الحق الدهلوي (١٠٥٢هـ) انظر ما سبق ج١/ ص٣٢٢، فما الفرق بين الداجوية وبين الديوبندية والتبليغية؟!.

(4) انظر "الشهاب الثاقب" للشيخ حسين أحمد المدني: ص٥٩، وراجع ما تقدم قريبا في ج٣/ ص٣٠٨-٣٠٩.

(5) انظر على سبيل المثال ما نسجوه حول الشيخ العلامة الإمام رشيد أحمد الجنجوهي رحمه الله (١٣٢٣هـ) في "تذكرة الرشيد": ج٢/ ص٢٢٧، حتى تعرف الديوبندية.

(6) انظر "المهند على المفند": ص٣٧، للسهارنفوري إمام الديوبندية.

(7) الشهاب الثاقب: ص٥٦-٥٧ لشيخ الهند حسين أحمد إمام الديوبندية.

(8) انظر "فيض الباري": ج٣/ ص٤٣٤-٤٣٥، مع الحاشية.

(9) الشهاب الثاقب: ص٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٢، ٦٥، ٦٦، لإمام الديوبندية.

١٩ – ويقولون: إن محمد بن عبد الوهاب والوهابية من الخوارج واستباحوا قتل أهل السنة، ويستحلون دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم[٢].

٢٠ – ويقولون: فأيم الله لم نرى طائفة يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية إلا هذه الطائفة المنكرة لتقليد السلف الذامّة لأهلها[٣].

٢١ – ويقولون: كان محمد بن عبد الوهاب رجلا بليدا قليل العلم فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر[٤].

٢٢ – وقالوا: إن محمد بن عبد الوهاب كان يحمل خيالات باطلة وعقائد فاسدة حارب أهل السنة قتلهم واغتنم أموالهم، وكان يسيء الأدب في حق السلف الصالح، ولذلك يبغضه العرب بغضا أشد من بغضهم لليهود والنصارى والمجوس.

الحاصل: أنه كان ظالما باغيا سفاكا فاسقا[٥].

أقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، سبحانك هذا بهتان عظيم!.

٢٣ – اعتراف واضح صريح – ولا بد – بكون الديوبندية أهل البدع والخرافة بلسان أحد أدبائهم.

إن بدع الديوبندية وأفكارهم القبورية الصوفية لا تدخل في نطاق الحصر.

ولقد قام أحد الكتاب الأدباء البريلوية – وهو "أرشد القادري" – فألف كتابا في الرد على الديوبندية سمّاه "الزلزلة" ذكر فيه شيئا كثيرا من الخرافات والشركيات عن كتب الديوبندية والحقيقة والحق – والحق يقال – أن هذا الرجل زلزل الديوبندية جميعا بهذا الكتاب حيث لم تقدر الديوبندية بجواب صحيح عن هذا الكتاب حتى الآن، وهذا المؤلف البريلوي يطلب الإنصاف من الديوبندية ويقول لهم مرارا وتكرارا: إن تلك العقائد التي كفرتمونا لأجلها موجودة في كتب أئمتكم، فلم تكفروننا؟!!.

وقد اعترف بهذه الحقيقة أحد كتاب الديوبندية وأدباؤهم.

ألا وهو الشيخ "عامر العثماني" مدير مجلة "التجلي بديوبند"، وصرّح بأن كل ما نقله "أرشد القادري البريلوي" عن كتب مشايخنا الديوبندية من الخرافات والشركيات فهو موجود في كتب مشائخنا بلا شك.

وصرّح أيضا بأنّ كل بدعة دخلت على مشايخنا الديوبندية إنما دخلت عليهم من باب التصوّف.

ثم وجه الشيخ عامر العثماني الديوبندي نصيحته إلى الشيخ "أرشد القادري البريلوي" قائلا: "إن هذا الذي نقلته من كتب الديوبندية لا شكّ أنه من الخرافات والشركيّات، ولكن هذا لا يكون مبرّرا للعقائد الشركية، بل يجب على كل مسلم أن يأخذ عقيدته من الكتاب والسنة"[٦]. اهـ.

[الماتريدية: ج٣/ ص ٣٠٢-٣١٤].

---

(1) "قواعد في علوم الفقه" للشيخ حبيب أحمد الكيرانوي الديوبندي: ص٤، وهي "المقدمة الثانية لإعلاء السنن" للشيخ ظفر أحمد العثماني الديوبندي.

(2) المهند على المفند: ص٤٥-٤٦ لأحد أئمة الديوبندية والتبليغية.

(3) "قواعد في علوم الحديث" لظفر أحمد العثماني: ص٢٨٥، "المقدمة الأولى لإعلاء السنن": ص٤٦٢، المطبوعة مستقلة، تحقيق أبي غدة الكوثري.

(4) "فيض الباري": ج١/ ص١٧٠-١٧١ لمحدث عصرهم الكاشميري.

(5) الشهاب الثاقب: ص٤٢ لأحد كبار أئمة الديوبندية والتبليغية.

(6) انظر "محاكمة الشيخ عامر العثماني" مدير مجلة "التجلي" بديوبند في "الزلزلة" لأرشد القادري البريلوي: ص ١٨٢-١٩٣ نقلا عن مجلة "التجلي" بديوبند.

• **وقال صاحب هذا الكتاب أيضا:**

القول ببدعة حياة الأنبياء عليهم السلام حياة دنيوية هو مذهب الأشعرية كما سبق آنفا، وأما قدماء الماتردية فلم أجد لهم كلاما في ذلك لا نفيا ولا إثباتا، ولكن المتأخرين منهم كالديوبندية والكوثرية والبريلوية فهم يقولون ببدعة القول بحياة الأنبياء عليهم السلام حياة دنيوية عنصرية.

١ – يقول الشيخ خليل أحمد السهارنفوري (١٣٤٦هـ) أحد كبار أئمة الديوبندية في جواب سؤال:

"الجواب عندنا وعند مشايخنا حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم حي في قبره الشريف، وحياته دنيوية من غير تكليف، وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم، وبجميع الأنبياء صلوات الله عليهم والشهداء لا برزخية، كما هي حاصلة بسائر المؤمنين، بل لجميع الناس، كما نص عليه العلامة السيوطي في رسالته "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء"" حيث قال: قال الشيخ تقي الدين السبكي: حياة الأنبياء والشهداء في القبر كحياتهم في الدنيا... ولشيخنا شمس الإسلام والدين محمد قاسم[1] "العلوم على المستفيدين قدس الله سرّه العزيز في هذا البحث رسالة مستقلة دقيقة المأخذ بديعة المسلك لم ير مثلها، قد طبعت وشاعت في الناس واسمها "آب حياة" أي ماء الحياة[2]".

٢ – وصرّح الشيخان أنور شاه الكشميري (١٣٥٢هـ) وشبير أحمد العثماني (١٣٦٩هـ) بأن النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في قبره بأذان وإقامة"[3].

٣ – واحتج الشيخ محمد قاسم النانوتي (١٢٩٧هـ) إمام الديوبندية والشيخ رشيد أحمد الجنجوهي (١٣٢٣هـ) أمامهم الثاني والشيخ أشرف علي التهانوي (١٣٦٢هـ) الذي لقبوه بحكيم الأمة لإثبات هذه البدعة بأن تركة النبي صلى الله عليه وسلم لا تورّث، وأن أزواجه لا يحللن لأحد بعده، فهذا دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة عنصرية، ولكنه انعزل عن الناس كما ينعزل المعتكف أربعين يوما مثلا إلى آخر تلك الشبهات الواهيات[4].

[المصدر السابق: ج١/ ص٤٤٢-٤٤٣]

• **وقال أيضا:**

في عرض مذهب الماتريدية في صفة "كلام الله تعالى":

وحاصل مذهبهم في الفقرات الآتية:

لقد سبق أن ذكرنا أن الدافع للماتردية وغيرهم من فرق المعطلة على تعطيل صفاة الله تعالى ومنها صفة "الكلام".

هو أنهم فهموا منها ما يفهم من صفة الخلق:

١ – فظنوا أن الكلام لا يمكن إلا بآلة وجارحة من لسان وشفتين وفم والأسنان والحلق، وهذه الشبهة بعينها التي عرضت للجهم إمام الجهمية، بشهادة الإمام أحمد.

٢ – وتبعهم في ذلك الماتردية، فقالوا: لو ثبت لله تعالى الكلام اللفظي لزم كون الله محلا للحوادث والأعراض.

ولا يخلوا أن يكون المسموع عرضا[5].

وهذه الحروف مخلوقة لأنها أصوات وهي أعراض لا دوام لها وهي قائمة بمحالها التي هي اللسان واللهوات والحلق[1].

---

(1) هو إمام الديوبندية ومؤسس جامعة ديوبند. انظر هذا الكتاب ج١/ ص٢٦٤.

(2) المهند على المفند: ٣٨-٣٩، وانظر خرافات المدني في نفشه: ١٠٣.

(3) فيض الباري: ج١/ ص٨٣، فتح الملهم: ج٣/ ص٤١٩. عقائد أهل السنة: ١٦١.

(4) انظر عقائد أهل السنة والجماعة الديوبندية: ١٦٢-١٦٥، للمفتي عبد الشكور الديوبندي، نقلا عن "آب حياة": ٢. والكوكب الدري: ج١/ ص٤٢٣، والطهور: ٤٩.

(5) كتاب التوحيد للماتريدي: ٥٩.

٣ – وعلى هذا الوهم الفاسد عطّلوا صفة "الكلام" وحرّفوا نصوصها بأن المراد من الكلام "الكلام النفسي" لا "الكلام اللفظي"[٢].

٤ – وتعريف الكلام النفسي عندهم: "ما هو قائم بالله بشئ واحد ليس له بعض ولا عدد ولا له نهاية ولا بداءة"[٣].

وهو المعنى القائم بذات المتكلم، وهو المعنى الذي يدبّره المتكلم في نفسه ويعبّر عنه بهذه الألفاظ المترتكبة عن الحروف... وهذه العبارات ليست بكلام واجراؤها على اللسان ليس بتكلم، بل هي عبارات عن الكلام والكلام... هو المعنى القائم بالنفس، غير أن هذه العبارات تسمى كلاما لدلالتها على الكلام[٤].

"إن الله تعالى متكلم بكلام واحد وهو صفة له أزلية ليست من جنس الحروف والأصوات، وهي صفة منافية للسكوت والآفة.

والله متكلم بها آمر، ناه مخبر، وهذه العبارات دالة عليها.

وتسمى العبارات كلام الله تعالى على معنى أنها عبارات عن كلامه الأزلي القائم بذاته وهو المعنى بقولنا القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق[٥].

وقالوا: إن الله لم يتكلم بكلمة "كن" بل المراد سرعة التكوين[٦].

وقالوا: "صانع العالم متكلم بكلام واحد أزلي قائم بذاته ليس من جنس الحروف والأصوات غير متجزئ مناف للسكوت والآفة والخرس.

وهو به آمر ناهٍ مخبر ... وهذه العبارات مخلوقة لأنها أصوات وهي أعراض، وسميت كلام الله لدلالتها عليه.

– والكلام النفسي – إن عبّر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبّر عنه بالعبرية فهو توراة، وإن عبّر عنه بالسريانية فهو إنجيل.

فاختلفت العبارات لا الكلام، كما نسمي الله بعبارات مختلفة، مع أن ذاته واحده"[٧].

٥ – وأن القرآن الكريم العربي مخلوق[٨] بل مخلوق لفظه ومعناه[٩] [١٠].

٦ – ويقولون: لا يجوز أن يقال: القرآن غير مخلوق.

لئلا يتبادر الذهن إلى الألفاظ والحروف.

بل يقال: القرآن كلام الله غير مخلوق.

فيكون الحكم بكونه غير مخلوق على كلام الله لا على القرآن.

---

(1) التمهيد لأبي المعين النسفي: ٧/أ، وعمدة العقائد لحافظ الدين النسفي: ٨/أ، وانظر أصول الدين للبزدوي: ٦١.

(2) راجع كتاب التوحيد للماتريدي: ٥٨، والعقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني: ٥٣-٥٤، والبداية من الكفاية للصابوني: ٦٠-٦١، الدرة الفاخرة للجامي: ٢٢٣، المسايرة مع المسامرة: ٨٢-٨٣، التلويح على التوضيح: ٢٨/١.

(3) أصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ٦١.

(4) تبصرة الأدلة: ١١٨/ب، لأبي المعين النسفي.

(5) التمهيد: ٦/ب-٧/أ، والعقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني: ٥٣-٥٨.

(6) بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي: ج١/ ٤٦٥، ومدارك التنزيل: ج١/ ص٨٣، وإرشاد العقل السليم: ج١/ص١٥١. وكشف الأسرار للبخاري: ج١/ ص١١٢-١١٣.

(7) العمدة: ٧/أ-ب لحافظ الدين النسفي، وانظر شرح الإحياء، للزبيدي: ج٢/ص٣٠-٣١، ١٤٤، ١٤٥، وراجع أصول الدين للبزدوي: ٦١.

(8) انظر كتاب التوحيد للماتريدي: ٥٩، وشرح الفقه الأبسط للسمرقندي: ٢٥، وأصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ٦١، تبصرة الأدلة: ١١٩، أ-ب، والتمهيد: ٧/أ، كلاهما لأبي المعين النسفي، والبداية للصابوني: ٦٣.

(9) نور الأنوار للملاجيون الهندي، شرح المنار للنسفي: ٢/١.

(10) تنبيه: إن القول بخلق القرآن نتيجة للقول ببدعة الكلام النفسي فكل من قال ببدعة الكلام النفسي فهو واقع في بدعة القول بخلق القرآن لا محالة بطبيعة الحال، وهو لا يشعر. انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز: ص٢٠٠.

قال أبو المعين النسفي (٥٠٨هـ):
"...وهذه الألفاظ تسمى قرآنا، وكلام الله يؤدي كلام الله تعالى بها، وهي في أنفسها مخلوقة، والكلام الذي هو صفة لله تعالى ليس بمخلوق.
ومشايخنا من أئمة السمرقند – الذين جمعوا بين علم الأصول والفروع – كانت عبارتهم في هذا أن يقولوا: "القرآن كلام الله وصفته، وكلام الله غير مخلوق، وكذا وصفه"، ولا يقولون على الإطلاق "أن القرآن ليس بمخلوق".
لئلا يسبق إلى وهم السامع أن هذه العبارات المتركبة من الحروف والأصوات ليست بمخلوقة، كما يقوله الحنابلة..."[١].
قلت: فالقرآن عندهم قرآنان، قرآن بمعنى الكلام النفسي، وهو غير مخلوق، وقرآن موجود عند الناس وهو الحروف فهو حادث مخلوق[٢].
وقال التفتازاني فيلسوف الماتريدية (٧٩٢هـ) بدون حياء جهارا دون إسرار في شرح كلام عمر النسفي "والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق":
"وعقب القرآن بكلام الله تعالى لما ذكر المشايخ (أي الماتردية) من أنه يقال: "القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق" ولا يقال: "القرآن غير مخلوق".
لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلف من الأصوات والحروف قديم، كما ذهبت إليه الحنابلة جهلا وعنادا...
وأقام – النسفي – غير المخلوق "مقام غير الحادث" تنبيها على اتحادهما"[٣].
٧ – ويقولون بدون حياء ولا حشمة: أنه لا خلاف بينهم وبين المعتزلة في كون القرآن مخلوقا، وإنهم جميعا متفقون على القول بخلق القرآن[٤].
٨ – غير أن المعتزلة لا يعترفون بالكلام النفسي.
قال التفتازاني (٧٩٢هـ) فيلسوف الماتردية، والكوثري مجددهم:
"وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم (أي المعتزلة) يرجع إلى إثبات الكلام النفسي، ونفيه، وإلا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف – [ولا بعدم كونها مخلوقة]- وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي"[٥].
وقال متكلم الماتردية الهندية عبد العزيز الفريهاري (١٢٣٩هـ) لتحقيق الأخوة بين الماتردية وبين المعتزلة: "وإن لم يختلف الفريقان في إثبات النفس ونفيه فلا نزاع، فإنا إذا قلنا: "القرآن غير مخلوق" أردنا النفسي، وإذا قلنا: "القرآن مخلوق" أردنا اللفظي، فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف بل بحدوثه كما قال المعتزلة، وهم لا يقولون بحدوث النفسي، بل ينكرون وجوده، ولو ثبت عندهم لقالوا بقدمه مثل ما قلنا، فصار محل البحث، هو أن النفسي ثابت أم لا"[٦].
٩ – وقالوا بدون حياء جهارا دون إسرار: "إن الكلام يطلق على الكلام النفسي، فمعنى كونه كلام الله أنه صفته، ويطلق على اللفظي الحادث المؤلف من السور والآيات ومعنى إضافته إلى

---

(1) تبصرة الأدلة: ١/ ١١٩ أ-ب.
(2) البداية للصابوني: ٦٢- ٦٣، وانظر شرح العقائد النسفية: ٥٩-٦٠.
(3) شرح العقائد النسفية: ٥٧-٥٨، وجميع شروحه وحواشيه على هذا الضلال والإضلال، انظر كيف يتقولون على أئمة الإسلام ويرمونهم بالعناد.
(4) انظر شرح المواقف للجرجاني: ٨/ ٩٣، ٩٥، ٩٩، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني: ٥٨، وشرح الفقه الأكبر للقاري: ٤٢، ٤٥، وعقيدة الإسلام لأبي الخير: ٣٧٤.
(5) شرح العقائد النسفية: ٥٨، وتعليقات الكوثري على الأسماء والصفات: ٢٥١.
(6) شرح العقائد النسفية للتفتازاني: ٦١، وحاشية الكستري عليه: ٩٥، والنبراس: ٢٢٣، ٢٣١، وانظر أصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ٦١.

الله: أنه مخلوق الله ليس من تأليفات المخلوقين''، وقال الفريهاري: ''في توجيه إضافة القرآن إلى الله تعالى ومعنى كونه كلام الله، مفسّرا لكلام التفتازاني – [أراد التفتازاني] – أنه – [أي القرآن] – مخلوق لله تعالى، بلا توسط كاسب من المخلوقين إما بإيجاد الصوت حتى يسمعه الملك أو الرسول، وإما بإيجاد النقوش في اللوح، وإما بخلق إدراك الحروف في قلب الملك أو الرسول وإما بخلق الحروف في لسانه بلا اختياره''[1].

بل صرح أبو المعين النسفي (٥٠٨هـ) بأن الله تعالى خلق صوتا وحروفا فأسمع جبريل كلامه بذلك الصوت والحروف فحفظه جبرائيل ونقله إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكلام الله قديم لا بحرف ولا صوت[2].

وقال الكوثري مجدد الماتريدية وراء لواء الجهمية والقبورية:

''والواقع أن القرآن في اللوح المحفوظ وفي لسان جبريل عليه السلام وفي لسان النبي صلى الله عليه وسلم وألسنة سائر التالين وقلوبهم وألواحهم مخلوق...''[3].

وهكذا سايرهم الشيخ محمد عبده ماتريدي الأزهر[4].

قلت: هذا شبيه بكلام الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾.

وقالوا: إن القرآن الكريم ليس كلام الله على الحقيقة وإنما هو كلام مجاز؛ لأنه دال على كلام الله النفسي، فالكلام الحقيقي هو ذلك النفسي وأما اللفظي هو عبارة عنه[5].

وقال أبو اليسر البزدوي (٤٩٣هـ): ''كلام الله تعالى قائم به وكذا كلام كل متكلم. وهذه السور التي لها نهاية وبداية وعدد وأبعاض. ليس بكلام الله تعالى على الحقيقة، بل هو منظوم نظمها الله تعالى وهو دال على كلام الله تعالى، كمنظوم "امرئ القيس":

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

منظوم امرئ القيس ''دال على كلامه، وليس هو كلامه، وكذا خطبة كل خطيب ورسالة كل مرسل منظوم دال على كلامه وليس نفس كلامه كذا هذا'' ثم صرّح بأن القرآن مخلوق في اللوح أو في ملك وهو كلام الله مجازا لا حقيقة[6].

١٠ – واستدلوا لتحقيق الكلام النفسي ببيت مصنوع موضوع على العرب والعربية منسوب إلى الأخطل النصراني الكافر المختل العقل المضطرب الكلام:

إن الكلام[7] لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا[8]

وقبله:

لا يعجبنك من أمير خطبة   حتى يكون مع الكلام أصيلا[9]

---

(1) شرح العقائد النسفية، للتفتازاني: ٦١، وحاشية الكستلي عليه: ٩٥، والنبراس: ٢٢٣، ٢٣١، وانظر أصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ٦١.

(2) بحر الكلام: ٢٩، مقالات الكوثري: ٢٧، رسالة التوحيد: ٦٦.

(3) بحر الكلام: ٢٩، مقالات الكوثري: ٢٧، رسالة التوحيد: ٦٦.

(4) المصدر السابق.

(5) تأويلات أهل السنة للماتريدي، تفسير سورة الشورى الآيتين: ٥١-٥٢، وأصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ٦١، ٦٠، تبصرة الأدلة: ١١٨/ب، البداية للصابوني: ٦١، العقائد النسفية مع شرحها للتفتازاني: ٥٣.

(6) أصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ٦٠-٦١.

(7) نسب هذا البيت إلى الأخطل كما في تبصرة الأدلة: ١١٨/ب، وشرح العقائد النسفية: ٥٤، ونسب إلى علي رضي الله عنه، كما في النبراس: ٢١٥، ونسب إلى الحطيئة كما في مجرد مقالات الأشعري لابن فورك: ٦٨. وذكر بعضهم بلفظ "... عن الفؤاد" كما في التمهيد للباقلاني: ٢٥١.

(8) تبصرة الأدلة: ١١٨/ ب لأبي المعين النسفي، والبداية للصابوني: ٦١، والعمدة لحافظ الدين النسفي: ٨/أ، وشرح العقائد النسفية للتفتازاني: ٥٤.

(9) شرح الإحياء للزبيدي: ١٤٦/٢، وذكر الباقلاني في تمهيده: ٢٥١ بلفظ "لا يعجبنك من أثير حظه"، وفي كتاب الإيمان لشيخ الإسلام: ص١٣٣: "من أثير خطبة"، وفي مجموع الفتاوى: ٧/ ١٣٩، "أثير لفظه".

١١ – وإذا قرروا القول بأن كلام الله هو الكلام النفسي الذي ليس بحرف ولا صوت قالوا باستحالة سماع كلام الله تعالى.

وصرّحوا بأن موسى عليه السلام لم يسمع كلام الله تعالى، وإنما سمع صوتا مخلوقا في الشجرة.

وقالوا: إنما سمّى موسى عليه السلام "كليم الله" لأنه سمع صوتا دالا على كلام الله بدون واسطة الملك. وتقدم الكلام على هذا[١].

١٢ – وبهذا تبين فساد زعم العلامة الآلوسي أن الماتريدي يرى أن موسى عليه السلام سمع كلام الله بحرف وصوت[٢]. لأن الماتريدي والماتريدية لا يجوزون حرفا، ولا صوتا في كلام الله ولا سماعه.

ولذا ذكر الإمام ابن أبي العز: أن أبا منصور الماتريدي يرى أن كلامه تعالى يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره[٣].

١٣ – وإذا قرروا القول بخلق القرآن، قالوا بخلق أسماء الله الحسنى بطبيعة الحال، وتقدم ذلك أيضا.

١٤ – وإذا قرروا ما سبق، فطبيعة الحال لا يثبتون لله تعالى صفة "التكليم" ولا صفة "التكلم" ولا صفة "النداء" ولا صفة "الصوت" بالمعاني المتعارفة الحقيقية المتبادرة إلى الأذهان السليمة بل لا بد لهم من أن يحرّفوا نصوصها إلى "الكلام النفسي".

١٥ – الحاصل: أن موقف الماتردية من صفة "كلام" الله تعالى مركب من إلحاد على إلحاد وبدعة على بدعة، وتعطيل على تعطيل.

وكانت الجهمية الأولى اكتفوا ببدعة واحدة وهي بدعة القول بخلق القرآن.

١٦ – ولكن الماتريدية جمعوا بينها وبين بدعة أخرى وهو القول بالكلام النفسي.

١٧ – وارتكبوا مع جمعهم بين هاتين البدعتين الشنيعتين شناعة وفظاعة أخرى، وهي تحريف نصوص الكتاب والسنة بل تصريحات سلف هذه الأمة وأئمة السنة إلى بدعة "الكلام النفسي. اهـ. [الماتريدية: ج٣/ ص٧٣-٨١].

- **وقال أيضاً:**

أول من أنكر علو الله تعالى:

وأول من عرف عنهم ذلك هم الجهمية الأولى، فهم أول من خرجوا على هذا الإجماع المحقق – إجماع بني آدم كلهم جميعا – وتبعهم من وافقهم من المعتزلة والخوارج ومتأخري الشيعة، ومتأخري الأشعرية[٤].

قلت: دخلت عقيدة إنكار علو الله تعالى من هؤلاء الجهمية الأولى على الماتريدية أيضا، غير أن الجهمية الأولى كانوا يقولون: إن الله في كل مكان، فإنه تحت الأرضين السبع كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان[٥].

ومرجع هذا القول إلى الحلول أو الاتحاد، ثم إلى العدم والامتناع، ولكن الماتريدية تبعا للمعتزلة، وهكذا الأشعرية قالوا: إن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، ولا فوق العالم ولا تحته ولا يمينه ولا شماله، ولا خلفه ولا أمامه، ولا في أي جهة

---

(1) وهذا كلام الجهمية كما في هذا الكتاب: ج٣/ ص١٣٧.

(2) انظر روح المعاني: ج١/ ص١٧.

(3) شرح الطحاوية: ١٨٠.

(4) راجع إثبات صفة العلو للإمام موفق الدين بن قدامة: ١٣١، ودرء التعارض: ج٦/ ص٢٠٩، ٢٦٦.

(5) انظر الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد: ١٠٥، ١٣٥.

من الجهات الست، ومرجع هذا القول الشنيع الفظيع إلى عدم وجود الله تعالى، بل إلى امتناعه فضلا عن أن يكون واجب الوجود. اهـ. [الماتريدية: ج٢/ ص٤٧٤].

- **وقال أيضا:**

الماتريدية فهموا من نصوص علو الله على عرشه وفوقيته على عباده أنه يلزم من ظاهرها أن الله تعالى في الجهة، وأنه محاط وكل ذلك وصف الخلائق[1] وأن من كان في جهة لا بد أن يكون بينهما مسافة مقدرة، ويتصور أن تكون أزيد من ذلك أو أنقص أو مساوية، ولو كان في جهة لزم قدم المكان والجهة والحيّز ولزم كونه جوهرا، وجسما، ومركبا، أو يكون محلا للحوادث[2]، وأيضا: إما أن يساوي الحيز أو ينقص عنه فيكون متناهيا أو يزيد عليه فيكون متحيزا[3].

قلت: بناء على هذه الشبهة حرّفوا نصوص العلو وعطلوا صفة العلو، ووصفوا الله بصفات الممتنعات، فقالوا: إن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ولا متصلا به ولا منفصلا عنه[4]، وأنه ليس في الجهات الست، لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف[5].

وأنه ليس على العرش ولا على غيره، ولا فوق العرش[6]، فليس الله فوق العالم[7]، ويكفرون من وصف الله تعالى بأنه في السماء أو وصفه بأنه فوق[8].

وقالوا: من جوّز في معبوده الدخول أو الخروج والاستقرار فهو عابد وثن[9]. وأن المشبهة – يعنون من أثبت الاستواء – لا حظ لهم من الإسلام غير أن جعلوا صنمهم الأرضي صنما سماويا[10]، وأن الله تعالى لا على شيء... ومن وصفه أنه على شيء فقد وصفه بأنه محتاج محمول فيكفر[11]. [الماتريدية: ٤٧٠-٤٧١].

- **وقال أيضاً:**

الجهمية عند السلف:

ولقد سجل الإمام هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي (٤١٨هـ) تكفير الجهمية عن (٥٥٠) نفسا بل أكثر من كبار أئمة الإسلام من مختلف البلدان والأمصار والأعصار، وذكر أسماءهم وفيهم كبار أئمة الحنفية أيضا، كما ذكر (٣١) عالما من علماء بلخ من الحنفية[12].

[الماتريدية: ج٢/ ص٤٧٥].

---

(1) كتاب التوحيد للماتريدي: ص٧٠.

(2) شرح المواقف للجرجاني: ج٨/ ص٢٠-٢٢.

(3) شرح العقائد النسفية: ٤٠.

(4) راجع القصيدة النونية: ١٦٦.

(5) بدء الأمالي مع شرحه ضوء المعالي: ٢٣-٢٥، وشرح العقائد النسفية: ص٤٠.

(6) أصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ص٢٨.

(7) أصول الدين لأبي اليسر البزدوي: ٣١.

(8) البحر الرائق: ج٥/ ص١٢٠.

(9) تبديد الظلام للكوثري: ٣٥، قلت: يريدون نفي كون الله بائنا عن العالم ونفي كونه على العرش.

(10) تعليقات للكوثري على تبيين كذب المفتري: ٢٨.

(11) بحر الكلام لأبي المعين النسفي: ٢٥، ٢٦.

(12) أنظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ج٢/ ص٢٢٧-٣١٢.

- **وقال أيضاً:**

بعض نصوص الأئمة على إثبات علو الله:

ونذكر هنا من نصوصهم ما يتعلق بصفة العلو لله تعالى، فأقول وبالله التوفيق:

١ – الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه (١٥٠هـ)، فقد أثبت صفة العلو لله تعالى بالعقل والفطرة والنقل واستدل بحديث الجارية، وكفر من أنكر صفة العلو لله تعالى، بل كفر من شك في ذلك.

[الماتريدية: ج٢/ ص٤٧٦].

- **وقال أيضا:**

وقال الإمام أبو حنيفة: "من قال: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر. وكذا من قال: إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض؟. والله يدعى من أعلى لا من أسفل، لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء وعليه ما روي في الحديث، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال: وجب علي عتق رقبة مؤمنة أفتجزئ هذه، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أمؤمنة أنت؟». فقالت: نعم. فقال: «أين الله؟». فأشارت إلى السماء، فقال: «اعتقها فإنها مؤمنة»"[1].

[الماتريدية: ج٢/ ص٧٥].

- **وقال أيضا:**

٦ – الإمام القاضي أبو يوسف رحمه الله (١٨١هـ) أحد أئمة الحنفية الثلاثة. فقد استتاب بشرا المريسي الحنفي الجهمي (٢٢٨هـ) لما أنكر كون الله تعالى فوق العرش وهي قصة مشهورة رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ) وغيره[2].

[الماتردية: ج٢/ ص٤٧٧]

- **وقال أيضا:**

وقال الإمام عبد الرحمن بن مهدي (١٩٨هـ):

"إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله قد كلم موسى، وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم"[3].

[الماتريدية: ج٢/ ص٤٧٨].

- **وقال أيضا:**

٩ – عالم الري وإمام الحنفية هشام بن عبد الله الرازي (٢٢١هـ) الذي توفي الإمام محمد بن الحسن الشيباني في منزله، وصاحب أبي يوسف ومحمد[4]، فقد حبس رجلا في التجهّم فتاب

---

(1) الفقه الأبسط رواية أبي مطيع البلخي عن الإمام أبي حنيفة تحقيق وتعليق الكوثري: ص٤٩-٥٢، وشرح الفقه الأبسط لأبي الليث السمرقندي: ١٧، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي: ٣٢٢، والأصول المنيفة مع شرحها إشارات المرام للبيّاضي الحنفي الماتريدي: ١٩٧-٢٠٠، وروح المعاني للألوسي الحنفي: ج٧/ ص١١٥، وجلاء العينين للنعمان الألوسي: ص٣٥٦، وغاية الأماني في الرد على النبهاني لشكري الألوسي: ص٤٤٤، ٤٤٩.

(2) شرح الطحاوية لابن أبي العز: ص٣٢٣، وانظر أيضا الحموية: ص ٥٨، وضمن مجموعة الفتاوى: ج٥/ ص٥٤.

(3) رواه أبو داود في مسائله: ص٢٦٢، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة: ج١/ ص١١٩-١٢٠ كلاهما مختصرا، رواه ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية كما في الحموية: ص٥٧، وضمن مجموع الفتاوى: ج٥/ ص٥٣، ودرء التعارض: ج٦/ ص٢٦١، والصواعق المرسلة: ج٤/ ص١٢٩٥، وصححه الذهبي وابن القيم والألباني: أنظر العلو: ١١٨، واجتماع الجيوش: ٢١٤، ٢١٥.

(4) راجع الجواهر المضيئة: ج٣/ ص٥٦٩، والفوائد الجلية: ص ٢٢٣.

فجيء به إليه ليمتحنه. فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائن من خلقه؟. قال: لا أدري ما بائن من خلقه؟. فقال هشام: ردّوه إلى الحبس فإنه لم يتب[1].

قلت: وفي أقوال هؤلاء أئمة الحنفية عبرة للماتريدية الذين يزعمون: أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا فوق ولا تحت .... إلى آخر هذيان المجانين والمحمومين.

[الماتريدية: ج٢/ ص٤٧٩]

ولنا بعد هذا السرد تنويه

كان يجب على الذين يدافعون عن حركة طالبان الأفغانية أن يتبينوا من عقائد وتصرفات وراية هذه الحركة قبل أن يضعوا أنفسهم في موضع الدفاع عما لا يعلمون حقيقته، وقبل أن ينساقوا في خوض القتال معهم، ولكن الذي حصل هو أنهم خاضوا القتال ثم بدأوا يعملون على جمع ما يوافق فعلهم مما ظهر لهم أنها أدلة ليبرروا موقفهم، وقد حذر الشيخ عبد القادر بن عبد العزيز في كتابه الجامع في طلب العلم الشريف في صور التعجل[2] من مثل هذا السلوك الأعوج.

ونحن نعذر إخواننا على موقفهم هذا لأنهم يجهلون حقيقة الأمر، ويظنون أن كل ما في الأمر أن هؤلاء أحناف مقلدون لهم مذهبهم، ولكننا ندعو إخواننا إلى التبين والتروي قبل اتهام الآخرين بأنهم قعدة ومثبطين وخوارج وغير ذلك من الاتهامات التي لا ينبغي أن تصدر من المسلمين الصادقين، والله المستعان.

وللمزيد من معرفة عقائد هؤلاء الماتريدية الديوبندية أنظر المصادر التالية:

١ ـ كتب فيها إلحاد صريح وتعطيل قبيح للماتريدية:

- إرشاد العمادي الحنفي: ج٢/ ص٥٣، ٢٧٣.
- إشارات المرام للحنفي: ج١/ ص٣٢٥، ج٢/ ص٢٦١.
- أصول الدين للبزدوي الحنفي: ج١/ ص٢٨٣.
- تأويلات الماتريدي: ج١/ ص٢٣٥ـ٢٣٦، ج٣/ ص٣١.
- توحيد الماتريدي: ج١/ ص٢٣٦، ٢٥٤، ٢٥٥.
- تبصرة النسفي الحنفي: ٢٨٤.
- تهذيب التفتازاني الحنفي: ج٢/ ص٢٩٦.
- حاشية الخيالي الحنفي: ج١/ ص٣٠٢.
- درة الجامي الخرافي الحنفي: ج٢/ ص٢٧٣.
- الدر اللقيط للحنفي: ج٢/ ص٢٧٣.
- السبع الشداد للتوقاني الحنفي: ج١/ ص ٣١١.
- شرح العقائد للتفتازاني الحنفي: ج١/٢٩٦.
- شرح المسايرة للحنفي: ج١/ ص٣٠٢.

---

(1) رواه ابن أبي حاتم، كما في درء التعارض: ج٦/ ص٢٦٥، والحموية: ص٥٣، وضمن مجموع الفتاوى: ج٥/ ص٤٩، والعلو للذهبي: ص١٢٣، ومختصره: ص١٨١، ورواه الهروي في ذم الكلام "ق ١٢٠/أ"، كما في مختصر العلو للألباني: ص١٨١.

(2) راجع المجلد الثاني من الكتاب المذكور: ص ٩٠٣ وما بعدها، فإن فيها كلام مفيد يتعلق بهذا الموضوع.

- شرح المقاصد للتفتازاني الماتريدي: ج١/ ص٢٩٦، ج٢/ص٢٦١.
- شرح المواقف للجرجاني الماتريدي: ج١/ ص٢٩٨، ٥٣٨.
- العقائد النسفية للحنفي: ج١/ ص٢٨٥-٢٨٦.
- عمدة النسفي الحنفي: ج١/ ص٢٩٠.
- مدارك النسفي الحنفي: ج٢/ ص٥٣-٢٧٣.
- مسايرة ابن الهمام الحنفي: ج١/ ص٣٠٢.
- مقاصد التفتازاني الحنفي: ج١/ ص٢٩٦.

٢ ـ كتب للديوبندية:

- الأرواح الثلاثة للديوبندية: ج٣/ ص٣١٠-٣١١.
- إيضاح الأدلة لمحمود حسن الديوبندي: ج٢/ ص٥٣٢.
- بصائر الداجوي الديوبندي: ج١/ ص٤٤٣، ج٣/ ص١٤،٢٨٠.
- الحقيقة لموسى: ج٣/ ص٢٨٠.
- توسل الفقي: ج٣/ ص٢٨٠.
- السوانح القاسمية للكيلاني الديوبندي: ج٣/ ص١٣.
- الشهاب الثاقب لحسين أحمد الديو بندي: ج١/ ٢٦٤، ٣٣٧، ج٣/ ص٣١٢، ٣١٣.
- فرقان القضاعي القبوري: ج٣/ ص٢٨٠.
- فصل القباني القبوري: ج٣/ ص٢٨٠.
- مقدمة البنوري الديوبندي، لمقالات الكوثري: ج١/ ص٢٦٥، ٣٤٠، ٢٧٢، ٥٤٩، ج٣/ ص١٧١.
- مقدمة العثماني الديوبندي، لإعلاء السنن: ج٣/ ص٣١٣.
- مقدمة الكيرواني الديوبندي لإعلاء السنن: ج٣/ ص٣١٣.
- المهند على المفند.

الملحق (٢)

طالبان والنظام الدولي

وقد انتشرت مؤخراً ظاهرة «رسم الصليب» على كثير من الأشياء

يزاحم لجنة «الدعوة» بمساعدة وزارة الأوقاف!

التنصير في مساجد كابول.. على يد الدكتور «بيتر»!



بعد ان اخترق معظم المجالات الحياتية في افغانستان، ها هو المد التنصيري يمد ذراعه الطويلة إلى المساجد في كابول ايضاً، وذلك من خلال مواطن الماني اسمه «بيتر» يعيش في افغانستان منذ ٤٣ سنة.

فمن خلال متابعات هذا «البيتر» للأوضاع في كابول، رأى أن لجنة الدعوة الإسلامية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي بدولة الكويت قد نجحت في استقطاب البنين والبنات على حد سواء لتعليمهم العلوم الشرعية والعصرية، بالإضافة إلى القرآن الكريم في المساجد، وبذلك حققت امراً عجزت عنه المنظمات الغربية.

فانشأ منظمة باسم منظمة «كوفه» تابعة لاتحاد الكنائس العالمي، واستطاع إقناع المسؤولين في وزارة الأوقاف الأفغانية بانه يريد ان يعمل مثلما تعمل لجنة الدعوة الإسلامية في مجال التعليم من خلال المساجد!!

وفي ظروف تعددت التفسيرات حولها، وافقوا له على ذلك وسلموه عشرة مراكز على أن يقوم بتعيين ما بين ٤٠ إلى ٥٠ موظفاً في كل مركز، وان يعطي لهم رواتب ما بين ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ روبية باكستانية. كما وقّع اتفاقاً مع وزارة الأوقاف على فتح ٣٠ مركزاً آخر في يناير المقبل، على ان يتضاعف هذا العدد قبل نهاية عام ٢٠٠٠م(!).

ثم نفذ بدهائه إلى المسؤولين واصبح يعطي الجميع رواتب وخاصة في وزارات الخارجية والتخطيط والأوقاف. وكلهم أصبح موظفاً لديه بعد الظهر، مسخراً إمكانات وزارته له!!

وقد تفقد أكثر من مرة برفقة نساء أوروبيات مراكز القرآن الكريم التي كفلها، وكانوا يمسحون على رؤوس أبناء المسلمين وبناتهم، ويمازحونهم!

المستقبل ليحتلوا ربما المناصب الوزارية والإدارية...

ومن المؤسف ان وزارة الأوقاف اعطته مركزين من مراكز لجنة الدعوة الإسلامية وهما مركز: أبو عبيدة بن الجراح في وزير اكبر خان، ومركز عبدالرحمن بن عوف في ماكروريان. وقد قابل مسؤولو مكتب اللجنة بباكستان نائب وزير الأوقاف مسلم حقاني، وأعربوا عن احتجاجهم على هذا الأمر غير المقبول شرعاً ولا عقلاً، فكان رده أن الوزارة احتفظت للجنة الدعوة في هذه المراكز بحلقات الحفظ، وأعطت للدكتور بيتر حلقات التدريس!

وقد طلب هذا «البيتر» تحسين رواتب الموظفين حتى يقتنع المسؤولون بعدم الذهاب إلى مؤسسته وتعهد بعدم التعرض لمراكز اللجنة الأخرى بعدما وصل النقاش بينهم وبينه إلى انهم سيرفعون الأمر للقيادة العليا في قندهار لاستفتائهم في شرعية ما تقوم به وزارة الأوقاف.

ونقل أكثر من مسؤول افغاني قوله: إن بيتر دخل في تحد مع لجنة الدعوة الإسلامية وبدأ في الفترة الأخيرة بكفالة المحفظين والمقرئين وزار مدينة وردك للاطلاع على كيفية بدء العمل فيها، كما بدأ في صيانة بعض المساجد، وإقامة أسوار، ومراحيض، وأماكن وضوء لها!

وإزاء هذا التحدي، قررت اللجنة:

١ - استفتاء بعض الشخصيات الافغانية المؤثرة على طالبان مثل مولانا حسن جان، وغيرهم وأخذ رأيهم.

٢ - طرح الأمر على مجلس التنسيق الإسلامي لاتخاذ موقف موحد من قبل كل المنظمات الإسلامية.

٣ - تحسين رواتب العاملين في مراكزها إلى حد معقول بحيث لا يكون الفرق بين ما تدفعه وما تدفعه تلك المؤسسة المشبوهة كبيراً.

«طالبان» تدعو هيلاري كلينتون لزيارة أفغانستان

لندن: «الشرق الأوسط»

دعت حركة طالبان الحاكمة في افغانستان امس هيلاري كلينتون قرينة الرئيس الاميركي، الى زيارة البلاد للتعرف بنفسها على اوضاع المرأة هناك.

وقال ستقي خان وزير خارجية طالبان في بيان امس «لقد دعونا قرينة الرئيس الاميركي، لكي تتحدث امام نساء افغانستان عن حقوقهن، وان ترى في الوقت ذاته على ارض الواقع طبيعة المجتمع الافغاني».

وافاد ردا على انتقادات الرئيس الاميركي بيل كلينتون الاخيرة لانتهاكات حقوق الانسان في افغانستان «ان الزيارة ستقنع سيدة اميركا الاولى ان حقوق المرأة في افغانستان، مصونة في الوقت الحاضر، اكثر من ذي قبل».

"طالبان" اقنعت الخاطفين بأن طلب الفدية "غير شرعي"

رفض الهند مطالب خاطفي الطائرة يعزز المخاوف من نهاية مأسوية

□ إسلام أباد ــ
أحمد موفق زيدان

■ ... ديمول، في مؤتمر صحافي في إسلام أباد أمس، عن مخاوفه من نهاية مرعبة لأزمة الطائرة ما لم ... هؤلاء عن مطلبين اولهما، الفدية المالية التي تبلغ ٢٠٠ مليون دولار بعدما اقنعهم قادة «طالبان» ...

"طالبان" تكتفي باطعام الرهائن ولا تتدخل في الازمة

خاطفوا الطائرة الهندية يطلبون ٢٠٠ مليون دولار

□ إسلام اباد ــ
أحمد موفق زيدان

■ حدد خاطفو الطائرة الهندية امس مطالبهم، التي تمثلت في اطلاق الزعيم الكشميري مسعود أظهر مع ٣٥ من رفاقه المعتقلين في السجون الهندية، اضافة الى فدية مالية مقدارها ٢٠٠ مليون دولار اميركي.

وفي ضوء تصاعد حدة الإتهامات الباكستانية ـ الهندية بشأن خطف الطائرة، تردد ان باكستان وضعت قواتها البرية والجوية والبحرية في حال تأهب تجاه حادثة الخطف. لكن الأمر يرتبط الآن بالخاطفين والحكومة الهندية لحل مشاكلهما». ورداً على سؤال: هل ستحاكم «طالبان» الخاطفين؟ قال: «سنسلمهم الى الصليب الأحمر الدولي».

كما اتهمت «طالبان» الأمم المتحدة بعدم القيام بمسؤولياتها تجاه ازمة الطائرة، بعدما غادر منسق البعثة الدولية لأفغانستان إيريك ديمول قندهار امس عائداً إلى إسلام اباد. وقال ديمول للصحافيين أمس ان الهند ارسلت وفداً يملك خبرة تفاوضية ونامل بان يكون قادراً على تسوية هذه الأزمة.

الأمم المتحدة: أفغانستان تنتج 75% من أفيون العالم

بيروت: «الشرق الأوسط»

رخرت الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات التابعة للامم المتحدة، في تقريرها السنوي الذي وزعته في بيروت، على ضرورة بذل جهود منسقة لضمان توافر العقاقير المخدرة للأغراض الطبية حصرا، خصوصاً في الدول النامية. وورد في التقرير ان التزام افغانستان الكامل بتحريم زراعة خشخاش الافيون امر مشكوك فيه لأنها تواصل جباية الضرائب على محصول هذه الزراعة التي يتم حصادها، وعلى الهيروين الذي يتم تصنيعه. وتبلغ نسبة انتاج افغانستان من الافيون نحو 75٪ من الانتاج العالمي. واضاف التقرير ان الاتجار بالعقاقير المخدرة في افريقيا يتأثر بالحروب الأهلية وان تعاطي المنشطات الممنوعة ينتشر سريعاً في شرق اسيا وجنوبها الشرقي، وان الصين اصبحت مصدراً رئيسيا للمنشطات الممنوعة والمصنعة سرا. وسجل التقرير انتشارا سريعاً لزراعة المحاصيل غير المشروعة والاتجار بها وتعاطيها في اسيا الوسطى والقوقاز، مع زيادة في النشاط الاجرامي. كما سجل تزايد زراعة القنب داخل البيوت في اوروبا الغربية.

... دراهم ● الجزائر دينارات ● السودان 55 دينارا ● ليبيا 200 درهم ● موريتانيا 35 اوقية

- ذكر ملا أحمد متوكل وزير خارجية طالبان في لقاء معه عبر قناة الجزيرة أجري مؤخرا أن حركة طالبان تأخذ العشر على تجارة المخدرات، وفي هذا استحلال بيّن لتجارة المخدرات.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها» [رواه مسلم: ٢٩٦١].

ملحق (٣):

تعهّد الشرك في أفغانستان
في عهد طالبان

أخي طالب الحق، تحقق من هذه الأمور بنفسك ولا تسأل أحدا: -

١ ـ في منطقة "حصارك غلجي" قرب جلال آباد في ولاية ننجرهار: أعدت حركة طالبان موقعا للتبرك بخرقة يقولون أنها من ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الموقع يشرف على حراسته الآن رجال من الحركة.

٢ ـ طردت حركة طالبان الأفغانية المولوي هاشمي إمام مسجد "باجازي" في مدينة جلال آباد متهمة إياه بالوهابية، وذلك لأنه لم يكن يرتكب الشركيات التي يرتكبها حركة طالبان، وكان أصلح منهم اعتقادا، وبعد طرده بدأ القبوري مولوي كبير والي جلال آباد بعقد حضرات صوفية في ذلك المسجد يحضره كبار من حركة طالبان، يذكرون الله فيها على الطريقة الصوفية، حتى ترتفع أصواتهم بما يشبه العواء وهم يكررون كلمة "هو" التي يظنون أنها اسما لله عز وجل.

٣ ـ في قرية "گـردي غوث" القريبة من جلال آباد قبر يستشفي به الناس ويتداوون بترابه.

٤ ـ في مزار غزني والموجود في ولاية غزني يربطون المريض بالقبر ويتركونه ليلة كاملة حتى يشفى.

٥ ـ في الطريق الموصل من جلال آباد إلى كابل قبر باسم "ميالي صاحب" يستشفي به الناس.

٦ ـ مولوي هاجي محمد (مفتي طالبان) الذي له دروس دورية في إذاعة الشريعة التابعة لحركة طالبان، توجه له أسئلة بين الآونة والأخرى عن الوهابية، فيجيب عليها، وقد سئل مرة فأجاب أن الوهابية والفنجفيرية كفار، وله كتاب في الفتاوى يباع في كابل بوسع من أراد أن يطلع عليها أن يشتريها.

٧ ـ يباع في الأسواق والمواقف في مدن وقرى أفغانستان خيط يعلّق في آخره قطعة خشب، يعتقد الناس أن هذه الآلة تخفف العذاب عن أهل القبور.

٨ ـ عينت حركة طالبان المولوي محمد محسن فاريابي رئيسا للمعارف في ولاية هرات علما بأن الحركة كانت تظن أن هذا المولوي من النوعية التقليدية، وعندما كشفوا أنه سلفي العقيدة عزلوه مع جماعته وأهانوه وضربوه وسجنوه ثم عُيّن بدلا عنه مولوي نعيم كل من خوست، وهو صوفي العقيدة طبعاً.

٩ - خرج الوزير المشهور لدى طالبان بشهيد خيل محفزا طلبة المدارس الدينية في مظاهرة يرددون فيها بالموت للوهابية والمودودية والفنجفيرية.

١٠ - أصبح مقر الوالي في فراه مخزن للمخدرات يُشرف على حراسته رئيس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١١ - مشروع بناية القباب في طريق قندهار زابل لا يخفى على أحد.

١٢ - لا زالت معابد السيخ موجودة والشيعة لا زالوا يؤدون طقوسهم في باميان بدون مضايقة.

١٣ - أما بالنسبة لما يسمونه بالوهابية فالمضايقة على مدارسهم معلومة لدى الجميع (وليس ببعيد حادثة جلال آباد).

١٤ ـ في المؤتمر الكبير الذي عقد عند بيعة الملا محمد عمر أمير حركة طالبان، أخرج أحدهم خرقة وقال أنها خرقة مباركة من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذه الخرقة كان

أجدادهم كلما اشتدت عليهم نوائب الزمان أخرجوها ليلتمسوا الفرج مما هم فيه بها، وعند ذلك بدأ الحاضرون بالبكاء، وكان في المجلس حشد كبير من كبار علمائهم ومشائخهم وقادتهم، وقد بث تسجيل لهذا المؤتمر في إذاعة الشريعة التي تبثها حكومة طالبان في أفغانستان.

ملاحظة:
يوجد كتاب باللغة الفارسية فيه سرد لأماكن القبور والمزارات والقباب المقامة على القبور في أفغانستان، والتي يقدسها الصوفية ويشركون بالله تعالى عندها، وهي معروفة ومشهورة عند عامة أهل أفغانستان، وهذا الكتاب اسمه "الأماكن المقدسة في أفغانستان"، وهو يباع في المكتبات في أفغانستان وباكستان، وبإمكان أي أحد شراءه للتعرف على تلك المواقع.

راجع "مسألة: حكم الله في الأوثان ومواضع الشرك"
و"مسألة: عدم جواز تأخير هدم المشاهد ومواضع الشرك"،
من الفصل الرابع من هذه الرسالة.

كشف شبهات المقاتلين

تحت راية من أخل بأصل الدين

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن **ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**﴾

إن عقدا عقده رب السماوات والأرضين، وأورده في أقدس الكتب التي نزلها على المرسلين، من عنده ليجعلها دينا للعالمين، وفيه عرض الله أغلى ما خلق من النعيم، بثمن هو أغلى ما يملكه العبد في الحياة، إن مثل هذا العقد لحري أن يُعلم شروطه وبنوده، وأن تدرس أركانه ومعالمه، حتى نعرف:

لماذا نجاهد؟ أفي سبيل الله؟ وما هي حقيقة هذه السبيل؟.

ولنعرف مع من ينبغي أن نجاهد؟ ومن هم السالكون حقا لسبيل الله؟.

ولنعلم ضد من نجاهد؟.

هذه هي شروط العقد وأركانه، ومفاهيم الجهاد ورايته، فمن أراد أن يؤدي للعقد شروطه ويتم أركانه، فليعرف أجوبة ما تقدم من أسئلة، وليؤد للعقد شروطه.

فإن من انحرفت به هذه المفاهيم، واشتبهت عليه معالم الطريق، فسيخلط حتما سبيل الله بسبيل المجرمين، وعندها تعمى الراية وتختلط الأوراق، وتكون الميتة ميتة جاهلية، والعقد مفسوخا وباطلا.

أما من عرف سبيل الله حق المعرفة، وأعطى الطريق حقها، فعندها «والذي نفسي بيده لا يُكلم أحد في سبيل الله - **والله أعلم بمن يكلم في سبيله** - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»، وعندها يصح العقد، ويربح البيع، وتكون الشهادة في سبيل الله، وذلك هو الفوز العظيم.

El Monofy